3me Année, No. 127.

Lundi-9-12-1935

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الادارة

بشارع البدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٢٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ رمضان سنة ١٣٥٤ — ٩ ديسمبر سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

فهرس العـــدد

صفحة		
١٩٦١	فى الجمال	أحمد حسن الزيات ... ...
١٩٦٣	المجنون	الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
١٩٦٦	الصقالبة فى الرواية العربية	الأستاذ محمد عبد الله عنان
١٩٦٩	مذهب الذرائع	الأستاذ زكى نجيب محمود .
١٩٧٢	قصة المكروب ...	الدكتور أحمد زكى ... ...
١٩٧٦	نظرية النسبية الخصوصية	الدكتور اسماعيل أحمد أدهم ...
١٩٧٩	قصة الفتح بن خاقان ...	الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى
١٩٨١	معركة عدوى	الفريق طه باشا الهاشمى ...
١٩٨٣	مؤتمر القلوب	الأستاذ السيد محمد زيادة ...
١٩٨٦	عويل الثكلى	جورج وغريس ... ...
١٩٨٧	أحلام وذكريات ...	الآنسة فردوس مصطفى ...
١٩٨٨	عجز التجارب (قصيدة)	الأستاذ عبد الرحمن شكرى
١٩٨٨	السجينة «	الأستاذ فخرى أبو السعود ..!
١٩٨٩	أغنية بين يدى الشمس «	الأستاذ ابراهيم ابراهيم على...
١٩٨٩	حنين «	الأستاذ رفيق فاخورى ...
١٩٩٠	حروب طروادة (قصة)	الأستاذ دريني خشبة ... ...
١٩٩٣	كتاب عن المسألة الحبشية	
١٩٩٤	ذكرى غزوة بدر الكبرى	
١٩٩٤	كتاب (محمد) للأستاذ توفيق الحكيم	
١٩٩٤	الصقالبة فى الرواية العربية . الانسان والكون	
١٩٩٥	شرعية الانتحار . معرض الفن الصينى	
١٩٩٦	كتاب التفريج للرضى والجنائى	الدكتور محمد الرافعى ...
١٩٩٧	لباب الآداب (كتاب)	الأستاذ محمد بك كرد على
١٩٩٨	تاريخ الاسلام السياسى	مؤرخ ... ...

فى الجمـــال...

— ٤ —

ذلك إجمال القول فى الفن الصناعى المرتجل ؛ أما الفن الصناعى المنقول فالسر فيه أن يبعث فى ذهنك فكرتين : فكرة عن الطبيعة المقلَّدة ، وفكرة عن الفنان المقلِّد . فتماثيل فِدْياس ، وصور رفائيل ، تجمع بين الجمالين : جمال المثال فى أصله ، وجمال الفن فى تقليده . كذلك فى وصف مغرب الشمس لابن الرومى نجد الاعجاب الناشئ عن القوة والوفرة والذكاء موزعا بين الصورة الناطقة التى أبدعتها الطبيعة ، وبين المحاكاة الصادقة التى أخرجتها القريحة

* * *

إن روعة الجمال الطبيعى آتية من ناحية الحرية فى الطبيعة ؛ وحرية الطبيعة هى قانونها العام ، لا تقوم عظمتها إلا به ، ولا تتجلى فخامتها إلا فيه ؛ فالغيضة الفَنّاء أجل مظهراً فى النفس من الحديقة المنمنمة ، وشلالات النيل أجمل منظراً فى العين من التواقير المنظمة ؛ لأن الجمال المطلق يملأ خيالك بالتأمل الحالم ، وذهنك بالتفكير الرفيع ، وشعورك بالطرب الباسط ؛ ومظنة العبودية فى الحى

أو فى الجماد تضيف إليه معنى من الحقارة والقبح يحطه و يشوهه . ولكن الجمال الصناعى لابدّ أن يتقيد بالقواعد و يتحدد بالأصول ؛ فاذا لم يكن الفنان من البراعة بحيث يخفى تلك القيود ، و يحجب هذه الحدود ، و يظهر السمة الدالة على الطبع المرسل والالهام الحر ، همدت فى فنه الحياة ، وخبا فى جماله السحر ، وضاقت فى عمله الفكرة

ليس الجمال فى الفن المعنوى أو الحسى أن تحاكى الطبيعة محاكاة الصدى ، وتمثلها تمثيل المرآة ، وتنقلها نقل الآلة ؛ تلك هى التبعية التى تنفى الذكاء ، والعبودية التى تسلب القوة ؛ إنما عظمة الفن أن يفوق الطبيعة ؛ و إنما براعة الفنان أن يزيد فى ترتيب صورها بالذكاء ، وفى تنويع تفاصيلها بالوفرة ، وفى توجيه مقاصدها بالعظمة ، وفى بيان تعبيرها بالحياة ، وفى سلطان تأثيرها بالقوة ، وفى حقيقة وقائعها بالسحر الموهم والوشى الخادع

انظر إلى تعاجيب الطبيعة وتهاويل الفلك ، من العواصف والصواعق والبراكين ، تجدها فى ذاتها جليلة رائعة ، ولكنك تجدها فى فن الشعراء والمصورين والمثّالين أجل وأروع . لقد وضعوا فيها شهوات النفوس ، وسلطوا عليها تصادم الأهواء ، وصوروها للأذهان فى عالم من الآلهة الكَمَلَة فى قواها المختلفة ، تتنافس فى العجائب ، وتتصارع بالأهوال ، وتتفانى على اللذة . وسحر الفن الاغريقى فى صحته وفى نطقه قائم على تجميل الظواهر المروعة فى الطبيعة ، بالتوازع المتضاربة فى النفس

ومن المعلوم فى بداهة العقل أن يكون ما يقلده الفنان فى الطبيعة حقيقاً بالتقليد ، حتى يمكن الجمع بين جمال الشئ فى أصله ، و بين جماله فى نقله ؛ فالمصور الذى يرسم وضعاً من أوضاع الرأس ، أو معنى من معانى الوجه ، أو لوناً من ألوان الحياة ، يكون أسمى فى الفن من المصور الذى يتحامل على براعته حتى يصور أرنبا تكاد من دقة التقليد أن تلحظ وثبته وتعدو بره . والشاعر الذى يصف عاطفة من عواطف القلب ، أو ظاهرة من ظواهر الكون ، يكون أبلغ فى فنه من الشاعر الذى يجهد قريحته فى وصف حادثة من هَنَوات الحوادث لا تقوم فى ذاتها على فائدة ولا لذة

قد يكون الشيء المنقول فى حقيقته قبيحا ، ولكن صدق التعبير عنه ، ودقة التصوير فيه ، والتماس المنفعة منه ، تجعل تقليده جميلا ، كالوجه الشتيم يرسمه المصور المبدع بريشته ، والخلق الذميم يصوره الشاعر المفلق بقلمه ؛ والملهاة المسرحية موضوعها رذائل الناس ونقائص المجتمع ، ولكنها ارتفعت إلى أوج الفن الجميل بتحليلها العميق ، وتصويرها الدقيق ، وغايتها النبيلة . كذلك الحوادث المؤلمة والمناظر المحزنة والمواقف المؤثرة ليس فيها من الجمال شيء . ولكن استبطان الفنان للخيلة البائس ، وتصويره الفاجعة ماثلة مثول الواقع ، و إعانته الحقيقة على التأثير بالجمل النفاذة ، والصور الأخاذة ، والظلال الرهيبة ، يجعل تقليدها من أجل الأشياء ، و يضع المأساة من الفن موضع الواسطة من العقد

فأنت ترى أن التقليد لا يثير الاعجاب فى نفسك ، ولا يُشيع اللذة فى شعورك ، إلا باعتماده على الفن ؛ والفن لا يتحقق جماله إلا بالعظمة فى عمله ، والسعة فى وسائله ، والحكمة فى غايته ؛ فاذا قلدت أصوات الطبيعة من غير تأليف ولا تنسيق ولا معنى ، وأقمت شلالا من الماء والحجر تضارع به شلال أسوان ، وسردت بالكلام الموزون حادثة عادية من حوادث اليوم ، أخطأك الفن وانزوى عنك الجمال ؛ لأنك صغرت الطبيعة ، وحقرت الواقع ، وتعلقت بالتافه ، واستعنت بالمادة ، من غير قوة ولا ثروة ولا علة . ولو أنك وجدت تستقرى مفاتن الجمال فى الطبيعة ، أو فى الفن ، أو فى الأثر الذى ينشأ من ائتلاف الطبيعة والفن ، لما وجدتها فى غير ما يعلن القوة والوفرة والذكاء مجتمعة أو متفرقة

ولعلك واجد ما يدعم هذه الفكرة عن الجمال فى قول (شيشرون) : « إن الطبيعة أبدعت الأشياء على صورة تجعل ما يكون منها جمّ المنفعة يكون كذلك جليل المكانة موفور الجمال .

إن جلالة هذا المبدأ نتيجة لازمة لمنفعته ؛ فلو أنك تخيلت (الكابتول)[1] قائماً فى السماء على هام السحب ، لما وجدت له جلالا فى نفسك ما لم يكن قيامه هناك علة لسقوط المطر »

وهل المنفعة التى أرادها شيشرون فى صنع الطبيعة وفى نتاج الفن إلا الذكاء الذى أردناه فى الجمال وقصدنا به حكمة الغرض وانتظام الخطة ؟

احمد حسن الزيات

(١) الكابتول معبد وقلعة أقيما على هضبة من هضاب روما السبع

٣ ـ المجنـــون

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

وكنا في النَّدى ثلاثةً : أنا و ا . ش و س . ع ؛ وقد هيَّأت تدبيراً توافقنا عليه لتحريك هذين المجنونين وتدوين ما يجيء منهما . فلما أقبلا تحفَّينا بهما وألطفْناهما ، وقمنا ثلاثتُنا يبسطهما وإكرامهما ، حتى حسبا أن في كلمة « مجنون » معنى كلمة أمير أو أميرة . . . . . ورأيتُ في عيني « نابغة القرن العشرين » ـ وهو أعيَنُ أعجَلُ (١) ـ ما لو ترجمتُه لما كانت العبارةُ عنه إلا أنه يعتقد أن له نفساً أنثى أعشقها أنا .... فكان مُسَدَّدا فكَّهُ اللسانِ تُستَمْلَحُ له النادرةُ وتُستظرفُ منه الحركة

ولما تمكن منه الغرور واحتاج الجنونُ كما يحتاج الجمالُ إلى كبريائه إذا حاطته الأعيُن ـ أدار بصره في المكان ثم قال : أفٍّ لكم ولما تصبرون عليه من هذا الندى في فضوضائه ورعاعه وغوغائه . إن هؤلاء إلا أخلاطٌ وأوشابٌ وحُثالة . هذا الجالسُ هناك . هذا الواقف هنالك . هذا المستَوفز . هذان المتقابلان . هؤلاء المتجمِّعون . هذا كله خيالُ حقيقة في رأسي . ما هي ؟ ما هي ؟

هذا التصايُحُ النكر . هذا الضرب بحجارة النَّرد . هذه الزحمةُ التي انغمسنا فيها . هذا المكان الهائج من حولنا . هذا كله خيال حقيقة في رأسي . هي ، هي ، هي

فازعج المجنون الآخر ، ووقع في تهاويل خياله . ونظر الينا تدورُ عيناه ، وتوجَّس شرا ، ثم زاغ بصره الى الباب ، واستوفزَ وجمع نفسه للقيام ؛ فلما رأى صاحبُه ما نزل به ، قهقهَ وأمعن في الضحك وقال : إنما خوَّفتُـــه الصبيانَ والضرب ليثبت لكم أنه مجنون . . .

فَرِدَ الآخرُ واغتاظ وجعل يُتمتم بينه وبين نفسه .

قال «النابغة» ما كلامٌ تَظنُّ به ظنين الريابة أيها الخبيث ؟

قال : « مما حفظناه » أن من علامات الأحمق أنه إذا استُنطق تَجلَّفَ ، وإذا بكى خار ، وإذا ضحك نَهَق . . . كما فعلت أنت الساعةَ تقول هاء ، هوء ، هيء . . .

فتغير وجه « النابغة » ، ونظر اليه نظرةً منكَرة ، وهمَّ أن يقتحم عليه وقال : أيها المجنون . لماذا تضطرني إلى أن أجيبك جواب مجنون . . . لا نجوت إن نجوتَ مني

فأسرع ا . ش . وأمسك به واعترض من دونه س . ع . وقال له : أنت بدأته والبادىء أظلم

قال : ولكن ويحه كيف قال هذا ؟ كيف لم يقل إلا هذا ؟ كيف لم يجد إلا هذا يقوله ؟ أنابغة القرن العشرين أحمق ، وقد أوحـــدَهُ الله في القرن العشرين ؟ لهمَمْتُ والله أن أكسرَ الذي فيه عيناه فما يقول إلا أني أحمق القرن العشرين

* * *

قلتُ : إن كان هذا هو الذي أغضبك منه ، ففي الحديث الشريف : ليس من أحدٍ إلا وفيه حُمْقَةٌ ، فبها يعيش . والحياة نفسها حماقة منظَّمة تنظيما عاقلا ؛ وما يُقبِل الانسان على شيء من لذاتها إلا وهو مقبلٌ على شيء من حماقاته ؛ وأمتعُ اللذة ما طاش فيه العقل وخرج من قانونه ؛ ولولا هـذا الحق في طبيعة الانسان لما احتمل طبيعةَ الحياة . أليس يُخيَّل اليك أن أكثرك غائب عن الدنيا وأقلك حاضرٌ فيها ، وأن يَقظتك الحقيقية إنما هي في الحلُم وما يشبه الحلُم ، كأنك خُلقتَ في كوكب وهبطتَ الى كوكبنا هذا ، فما فيك له ولا فيه لك إلا القليلُ يلتئم بعضُه ببعضه ، وأكثرُكما مُتَنافر أو متناقض أو متراجع ؟

قال : بلى

قلت : فهذا القليل هو الحُمْقَةُ التي بها تعيش ، وهو أرضيَّةُ الأرض فيـــك . أما سماويةُ السماء فبعيدةٌ لا تحتملها طبيعة الأرض . ولهذا يعيشُ أهلُ الحقيقة عيشَ الجانين في رأي المغرورين الذين غرتهم الحياة الفانية ، أو المخدوعين الذين خدعتهم الظواهر الكاذبة ؛ فكلما أتوا عملاً من الأعمال السامية انتهى إلى الحق ممكوساً أو محولاً أو معدولاً به . ولعل هذا أصحُّ تفسيرٍ للحديث الشريف : أكثر أهل الجنة البُلْه

قال المجنون الآخر : « مما حفظناه » أكثر أهل الجنة البُلْه

فقال (النابغة) : المصيبةُ فيك أنك أنت هو أنت . ألا

(١) أي واسع العين أعجلها ، وقد مر وصفه في المقالة الأولى

فلتعلمْ أنك من بُلَهَاء البيمارستان لا من بُلَه الجنة

قلت : ثم إن الموت لا بد آتٍ على الناس جميعاً فيسلبهم كل ما نالوه من الدنيا ويُلحقُ من نال بمن لم ينل ؛ فمنذا الذى يُسرُّ بأن ينال مالا يبقى له إلا أن يكون مروره من حماقته ؛ ومنذ الذى يحزن على أن يفوته ما لا يبقى له إلا أن يكون حزنُه حماقةً أخرى ؟ وأى شىء فى الحب بعد أن ينقضى الحبُّ إلا أنه كان حماقةً ضَرَبت فى الحواس كلها حتى ملأت النفس ؛ ثم ملأت النفس حتى فاضت على الزمن . ثم فاضت على الزمن حتى خيَّلت العاشق تخييلاً لذيذاً تصغر فيه الأشياء وتكبر ويجعل الواقع فى النفس غير الواقع فى دنياها ؟ يُشبِّه كلُّ عاشقٍ حبيبته بالقمر : فهب القمر سمع هذا وفهمه وعَنَاه أن يجيب عنه ، فماذا عساه يقول إلا أن يعجب من هذا الحمق فى هذا التشبيه ؟

* * *

فهدأ (النابغة) وسكن غضبُه وقال : صدقت ولهذا أنا لا أشبه حبيبتى بالقمر .

قلت : فبماذا تشبِّهها ؟

قال : لا أقول لك حتى أعلم بماذا تشبِّه أنت حبيبتك .

قلت : وأنا كذلك لا أشبهها بالقمر

قال : فبماذا تشبهها ؟ قلت : حتى أعلمَ بماذا تشبه أنت ...

قال : هذا لا يُرضى منك وأنت أستاذ (نابغة القرن العشرين) ولك حبائبُ كثيراتٌ عدد كتبك ، وقد أعجبتنى منهن تلك التى فى (أوراق الورد) وأظنك أحببتها فى شهر مايو من سنة ... من سنة ...

قال المجنون الآخر : من سنة ١٩٣٥ ؛ هأنذا قد نبهتك

قال : ياويلك ! إن (أوراق الورد) ظهرت من بضع سنين ، إنما أنت من بُلهاءَ البيمارستان لا من بُله أوراق الورد ... ماذا كنت أقولُ ؟

قال ا . ش . كنت تقول : هذا لا يرضى منك ولك حبائب كثيرات .

قال : نعم لأنك إذا شبهت واحدة منهن بالقمر انتهى القمر وفرغ التشبيه فيظل الأخريات بلا قمر ... ثم إن كلمة القمر لا تعجبنى ، فلونها أدكنُ مُغبرٌّ[1] يضرب أحياناً الى السواد...

(١) الدكنة لون بين الحمرة والسواد

فاذا عشقتُ زنجيةً فهنا محلُّ التشبيه بالقمر . . . أما البيضُ الرعابيب فتشبيههن بالقمر من فساد الذوق

قال س . ع : وللألفاظ ألوانٌ عندك ؟

قال : لو كنتَ نابغة لأبصرتَ فى داخلك أخيلةً من الجنة . ألم يقل أستاذُنا آنفاً عن (نابغة القرن العشرين) إنه هبط من كوكب الى كوكب ؟ فتى كوكبنا الأول يكون لنا سمْعٌ ملوَّن وحِسٌّ ملوَّن ، نسمع قرع الطبل أزرق ، ونفخ البوق أحمر ، ورنين النغم الحلو أخضر[1] ، والوجودُ كله صورٌ ملونةٌ سواءٌ منه ما يُرى وما يُحس وما هو مستخفٍ وما هو ظاهر

ثم أومأ إلى المجنون الآخر وقال : واسمُ هذا الأبله كلفظ الحجر لا أسمعُهُ إلا أسود ...

* * *

وسكت « النابغة » وسكتنا ؛ فقال له س . ع . مالك لا تتكلم ؟ قال : لأنى أريد السكوت . قال : فلماذا تريد السكوت ؟ قال : لأنى لا أريد أن أتكلم ...

وتحرك فى نفسه الغيظ من المجنون الآخر فرمى بعينه الفضاء ينظر اللاشىء وقال : إذا أصبح كلُّ النساء ذواتِ لحى أصبح هذا عاقلاً ... فدقَّ الآخر برجله دقاتٍ ممدودة ؛ فثار (النابغة) وقال : من هذا يشتمنى ؟

قال س . ع . لم يشتمك أحد ، هذا خَفْقُ رِجلٍ على الأرض .

قال : بل شتمنى هذا الخبيث وسمى لا يَكْذِبنى أبداً ، وأنا رجل ظَنُونٌ أسىء الظن بكلِّ أحد ، وعلامةُ الحازم العاقل سوء ظنه بالناس . فهبه كما قلت قد خَفَق بنعله أو خبط برجله فهو يعلم ما يعنى من ذلك وأنا أسمع مايعنيه . لقد طفح الشعرُ على قلبى فلا بد لى من هجائه ، ولا بد أن أذبحه ولو بالكلام ، فانى إذا هجوته رأيتُ دمه فى كلماتى ، وأريد أن أجعله كالعنز التى كانت عندنا وذبحناها

ثم انتزع قلم س . ع . وقال : هذه هى السكين . ولكن أسألك يا أستاذى أن تذبحه أنت بكلمتين وتصفَ له جنونه فقد

(١) هذا واقع وليس من الخيال فبعض الناس يسمعون الأصوات ويحسون الأشياء ملونة ؛ وعلماء الأمراض العصبية يعرفون هذا ويسمونه بأنه صور ذهنية قد لبسها مؤثر من المؤثرات فهو يصبغها بلونه . أفادنا هذه الفائدة دكتورنا محمد الراضى

عَزَب عني الشعر . إن خَفْقَة رجيل على الأرض تستطيرَ الأرانب فزعاً فيَنْفرن إلى أجحارهن و يَنهارين ، وما كانت أبيات الشعر في ذهني إلا أرانب . . .

أنتم لا تعرفون أن من كان حَصيفاً تَبيتاً مثلي كان دقيق الحسّ ، ومن كان قَدْماً غبيّاً مثل هذا كان بليد الحسّ غليظاً كثيفاً . فاذا أنا استشعرت البردَ رأيتني قد سافرت الى القطب الشمالي ؛ أما هذا المجنون فهو إذا استشعر برداً سافر إلى عَباءته أو لحافه . . . . إذ هو لا يعرف جغرافيا ولا يدري ما طَحاها

قلت : هذا منك أظرفُ من نادرة أبي الحارث . قال : وما نادرةُ أبي الحارث ؟ وهل هو نابغة ؟

قلت : جلس يتغدى مع الرشيد وعيسى بن جعفر ، فأتي بخوان عليه ثلاثةُ أرغفة ، فأكل أبو الحارث رغيفَه قبلهما ، والرشيدُ ملكٌ عظيم لا يأكل أكلَ الجائع وإنما هو التشميتُ من هنا وهناك . فكان رغيفُه لا يزال باقياً . فصاح أبو الحارث فجأة : ياغلام ، فَرَسي . ففزع الرشيد وقال : ويلك مالك ؟ قال : أريد أن أركب الى هذا الرغيف الذي بين يديك . .

قال (النابغة) : ولكنّ فرقاً بين أبي الحارث وبين (نابغة القرن العشرين) ، فان من العجائب أني ربما نظرتُ الى الرجل وهو يأكل فأجد الشِّبَع حتى كأنه يأكل ليبطني لا ليبطنه . ولكن من العجائب أن هذا لا يتفق لي أبداً حين أكون جائعاً

أما هذا المجنون الذي أمامنا فربما أبصر الحمارَ على ظهره الحمْل فيشعر كأن الحمل على ظهره هو لا على ظهر الحمار . .

قال الآخر : « مما حفظناه » أنه سُرق لأعرابي حمار ، فقيل أُسرق حمارك ؟ قال نعم وأحمد الله . فقيل له على ماذا تحمده ؟ قال على أني لم أكن عليه حين سُرق . . فأنا إذا رأيتُ حمارا متقلّ الظهر حمدتُ الله على أن الحمل لم يكن عليّ ، لا كما يقول هذا . ثم دقّ برجله دقّات . .

فاستشاط (النابغة) وقال : أسمعتم كيف يقول إني مجنون ، ثم لا يكتفي بهذا بل يقول إني حمار على ظهره الحمل ؟

قلت : ينبغي أن تتكافأ وهذا لا يسيئك منه ولا يسيء منك ، فان من تواضع النوابغ أن يشعروا بيؤس الحيوان ، فاذا شعروا بيؤسه دخلتهم الرقةُ له ، فاذا دخلتهم الرقةُ صار خيالُ الحمل حملا على قلوبهم الرقيقة ؛ وقد يصنعون أكثر من ذلك . حكى الجاحظ عن عُمامة قال : كان (نابغة) يأتي ساقيةً لنا سَحراً فلا يزال يمشي مع دابتها ذاهباً وراجعاً في شدة الحر أيامَ الحر ، وفي البرد أيام البرد ، فاذا أمسى توضأ وقال : اللهمّ اجعل لنا من هذا الهم فرجاً ومخرجاً ؛ فكان كذلك إلى أن مات

قال المجنون الآخر : « مما حفظناه » ثمرةُ الدنيا السرور ولا سرور للعقلاء ، فلو لم يكن هذا أعقلَ العقلاء لما لُحق سرورُه في الدنيا هذا المحْق الى أن مات غمّاً رحمه الله

* * *

قال س . ع . فاعف الآن عن صاحبك ولا تذبحه بالهجاء

قال : لقد ذكرتني من نسيان ، وهذا المجنون يرى نسياني من مرض عقلي ، وكان الوجه لو تهدّى الى الحقيقة أن يراه شذوذا في العقل أي نبوغا عظيما كنبوغ ذلك الفيلسوف الذي أراد أن يعرف في كم من الزمن تسلق البيضة ؛ فأخذ بيده الساعة وبيده الأخرى بيضة ثم نسي نسيان النبوغ فألقى الساعة في الماء على النار ، وثبتتْ عينُه على البيضة ينظر فيها على أنها هي الساعة . ولو قد رآه هذا الأبله لزعمه مجنونا كما يزعمني ، فان المجانين يرون العقلاء مرضى بمواهبهم وأعمالهم التي يعملونها

وأنا فليس يهيجني شيء ما تهيجني كلمات ثلاث : أن يقال لي مجنون ، أو أبله ، أو أحمق . فمن رغب في صحبتي فليتجنب هذه الثلاث كما يتجنب الكفر والكفر والكفر ...

قال ا . ش . فاذا قيل لك مثلا . مثلا . أي على التمثيل : مغفّل ...

فك رأسه قليلا وقال : لا ، هذه ليست من قدري[1] ...

قلت : فبعض الكلمات إذا قُسطت عندك غيرت الحقائق ، كذلك القرن الذي قُطع فَرْد البقرة فرساً ؟

قال وكيف كان ذلك ؟

قلت : زعموا أن أعرابياً خرج إخوته يشترون خيلاً ، فخرج معهم فجاء بعجل يقوده . فقيل له ما هذا ؟ قال فرس اشتريته . قالوا : يامائق هذه بقرة أما ترى قرنيها ؟

فرجع الى منزله فقطع قرنيها ثم قادها اليهم وقال لهم : قد أعدتها فرساً كما تريدون ...

قال (النابغة) هذا غير بعيد ، فقد رأيتُنا حين ذبحنا العنز

(١) نص عبارته (دى مش أدى) ...

وكسرنا قرنيها أعدناها كلبة سوداء ، فتقذرتها وعفت لحمها ولم أطعم منها

ثم أومأ الى الآخر وقال : هذا لا يدرى ما طحاها ، وهو مثل المعز نحسب قرنيها للقتال والسطاح ومنهما نمسك للذبح . فقل فى هذا يا أستاذ (نابغة القرن العشرين)

قلت للآخر : أيرضيك أن أقول فى المعنى لا فيك أنت ... ؟

قال نعم ، فكتبت هذه الأبيات على ما يريد النابغة :

قل لمعز ناطحاها ... لقتال سلحاها
مالها قد طرحاها ... فى يدين ذبحاها

* * *

شيمة منى نحاها ... عقل غر فلحاها
ليس يدرى ماطحاها ... بل يرى شمس ضحاها
حجرا مثل رحاها ... ويرى الليل محاها
ظلما طالت لحاها

* * *

ومر (النابغة) وازدهى وجعل يقول طالت لحاها ، طالت لحاها ؛ وما كان هذا إلا السرور الأصغر ؛ أما سروره الأكبر فمجيء ساعى (البريد المستعجل) الى الندى وفى يده رسالة عنوانها : نابغة القرن العشرين فلان بندى كذا

وجعل الرجل يهتف بالعنوان يسأل عن صاحبه ؛ فتطاولت أعناق الناس ورفعوا أبصارهم ينظرون الى (نابغة القرن العشرين) وقد مد يده يتناول الرسالة وكأنه ملك من القدماء أسقط له كتاب بالفتح العظيم وبضم دولة الى دولته

ثم ترك الرسالة بين أصابعه يقلبها ولا يفضها ونحن فى دهشة من أمره ؛ فنظر فيها المجنون الآخر وقال له : هذا عجيب يا أخى كيف هذا ؟ إن هذا لا يصدق . إنك لم تلقها فى صندوق البريد إلا منذ ساعة ... ...

(لها بقية) مصطفى صادق الرافعى

المبشرون : كتب الينا فاضل يذكر بعض سخافات المبشرين نقلها من أحد كتبهم وسألنا الرد عليهم فأبلغ الرد على هؤلاء تجنبهم وإهمال كل ما يكتبون إذ هم مصابون بجنون الفكرة الدينية ؛ ومثلهم فى كل ما يكتبونه عن الاسلام مثل رجل أمريكى (نابغة) ... يريد أن يقيم لك البرهان على أن الجمل العربى إنما هو مصنوع فى مصانع فورد ... ... الرافعى

٢ ـ الصقالبة فى الرواية العربية
وفى الدولة الأندلسية
للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ٣ —

ونلاحظ أنه بينما كان نفوذ الصقالبة يقوى ويشتد فى بلاط قرطبة وفى الدولة الأموية فى الأندلس ، إذا بنفوذ الصقالبة يغزو بلاطا إسلاميا آخر ودولة إسلامية أخرى هى الدولة الفاطمية ؛ ومما يدعو إلى التأمل أن يزدهر النفوذ الصقلبى فى البلاط الفاطمى فى نفس العصر ، أعنى فى أواسط القرن الرابع الهجرى ، وفى ظروف مماثلة ؛ وقد قامت الدولة الفاطمية فى المغرب بمؤازرة القبائل المغربية القوية ، واستأثر زعماؤها مدى حين بمناصب الثقة والنفوذ ؛ ولكن تطورا وقع فى السياسة الفاطمية ؛ ومنذ عهد المعز لدين الله يغزو نفوذ الصقالبة البلاط الفاطمى ويغالب نفوذ المغاربة ؛ وقد كان جوهر الصقلى أعظم أعوان المعز وكبير قادته من أصل صقلبى ، وكان له فى الدولة وفى الجيش أعظم نفوذ ؛ وفى عهد العزيز سما نفوذ الصقالبة وساد فى القصر وفى الوزارة ؛ وبلغ ذروة قوته فى أوائل عهد الحاكم بأمر الله الذى تولى الملك صبيا وتولى الوصاية عليه صقلبى هو برجوان ؛ وفى عهد وصايته القصير سيطر الصقالبة على القصر والدولة ، واستأثر بمناصب النفوذ والحكم نفر من الفتيان الصقالبة مثل يانس وميسور وعين وغيرهم ؛ ولكن الحاكم لم يلبث أن تخلص من هذا النفوذ الخطر بمقتل برجوان ونكبة الفتيان الصقالبة ، وبذلك انهار نفوذ الصقالبة فى البلاط الفاطمى [1]

وكان ذلك فى أواسط القرن الرابع وفى أواخره حيث كان يزدهر نفوذ الصقالبة فى بلاط قرطبة فى عهد الناصر حسبما بينا ، ثم فى عهد ولده الحكم المستنصر من بعده . ولما توفى الناصر كان نفوذ الصقالبة أشد ما يكون بسطة فى القصر وفى الحكومة ؛ وكان فتيان القصر الصقالبة وهم المعروفون بالخلفاء الأكابر أول من أخذ البيعة

(١ المقريزى (مصر) ج ٣ ص ١٧ و ١٨ وج ٤ ص ٦٨

للحكم المستنصر ؛ وكان حاجب الحكم ، جعفر بن عبد الرحمن الصقلبي أقوى وأعظم رجل فى الدولة[1] ؛ وكان الحرس الخلاق المكون من الفتيان الصقالبة سياج البيعة الخلافية وأبرز مظاهرها ؛ وكان من وزراء الحكم أيضاً زياد ومحمد ابنا أفلح الصقلبي صاحب الخيل فى عهد الناصر[2] ؛ وفى عهد الحكم غدا الحرس الخلافى كل شىء فى القصر ، وغدا عصمة الخلافة والخليفة يسهر على سلامة عرشه وشخصه ، وبحميه من المؤامرات والدسائس الخارجية ؛ وكان أولئك الجند الصقالبة يمتدون بقوتهم وسلطانهم ويمرحون فى العاصمة ويسيئون أحياناً إلى أهلها ، وكان الحكم يخشى بأسهم ويغضى عن تصرفهم وسوء سلوكهم[3] ؛ وكان عدد الحرس الخاص من الفتيان الصقالبة يبلغ زهاء الف ، بيد أنهم كانوا يتمتعون بوفرة فى الوجاهة والثراء ، ويملكون الضياع الشاسعة ، ويسيطرون على كثير من الأتباع والحاشية[4]

وهكذا أصبح الحرس الخلافى أو الفتيان الصقالبة فى بلاط قرطبة أصحاب الحول والقوة ، وغدوا عاملا يحسب العرش حسابه ، بل غدوا قبل بعيد حكما فى مسألة العرش وولاية العهد ، مثلما غدا الحرس التركى فى بلاط بغداد . ولما توفى الحكم (سنة ٣٦٦هـ - ٩٧٦ م) كان الصقالبة هم سادة الموقف وأصحاب الكلمة فى ولاية العرش والخلافة . وكانت زعامتهم بيد فائق النظامى صاحب البرد والطراز ، وجوذر صاحب الصاغة والبيازرة ، والهما كان أيضاً أمر الغلمان الفحول خارج القصر . وكان رأى الصقالبة أن يصرف النظر عن تولية ولى العهد هشام بن الحكم ، وهو يومئذ غلام فى نحو الحادية عشرة حتى لا يفقدوا نفوذهم فى ظل وصاية جديدة ، وأن يولى الخلافة أخو الحكم المغيرة بن عبد الرحمن الناصر فيكون لهم بذلك فضل يمكنهم من توطيد نفوذهم وسلطانهم عليه ؛ ولكن الحاجب جعفرا المصحفى أدرك مايضمره الصقالبة من وراء هذا المشروع ولم يقرهم على اثمارهم بولى العهد ؛ ونظم البيعة لهشام ولى العهد بمعاونة الوزير محمد بن أبى عامر ؛ ودبر الاثنان مقتل المغيرة بن الناصر خشية مناوأته ، وتولى ابن أبى عامر تنفيذ الجريمة ، وبذا استقر هشام المؤيد فى العرش الخلافى ؛ وانهار مشروع الصقالبة ؛ ودبت الوحشة على أثر ذلك بين الصقالبة والحاجب جعفر ، فأخذ يتحين الفرصة لسحقهم ؛ وكان ابن أبى عامر يستميل الصقالبة ويداريهم بادىء ذى بدء حتى تمكن نفوذه فى القصر وفى الجيش ؛ وعندئذ اتفق مع الحاجب على نكبة الصقالبة وتشريدهم ، ولم يدخر فى ذلك وسيلة ظاهرة أو مستترة حتى شرد زعماؤهم واستصفيت أموالهم وأخمدت شوكتهم ، ونفى زعيمهم فائق إلى الجزائر الشرقية (جزائر البليار)[1] ، وفى ذلك يقول شاعر معاصر هو سعيد الشنتريني :

أخرج من قصر امام الهدى ... كل فتى منبسط جائر
فمن رأينا منهم قال لا ... مساس قبل الناس بالشاكر
نخاف ظهر الملك المرتضى ... قد خف من ثقلهم الظاهر
وسال ماء العلم من وجهه ... مذ مال عن حبائهم الخاثر
فلازم الميدان فى قصره ... مع الوزير الخير الطاهر

ولما استأثر ابن أبى عامر وسحق كل خصومه ومنافسيه واستبد بالسلطة ، رأى أن يتخذ من البربر بطانة له وخولا وأن يستعين بهم على العرب ، فقدمهم فى الحكومة والجيش ، وعمل على تمزيق القبائل العربية ؛ وكانت العصبية العربية قد اضمحلت منذ بعيد ، فلم تلق السياسة الجديدة معارضة تذكر ؛ وهكذا حل البربر مكان الصقالبة فى الالتفاف حول السلطة العليا والتمتع برعايتها ، بيد أن الصقالبة لم يفقدوا كل نفوذ بعد ، فقد استمر عدد كبير منهم يشغل وظائف الخاص بالقصر ؛ ولما أنشأ ابن أبى عامر حاضرته المعروفة بالزاهرة ، واتخذ سمة الملك وتسمى بالحاجب المنصور ، عاد إلى اصطناع الصقالبة ، واتخذ منهم إلى جانب البربر حاشية وبطانة ؛ وحشد منهم كثيراً فى الجيش[2] ؛ والظاهر أن هذه الطائفة أعنى الصقالبة كانت تتمتع بصفات وخلال خاصة تجعلها أداة لينة صالحة فى يد السياسة القوية الحازمة ، وإذا كان الصقالبة قد بدوا فى أحيان كثيرة خطرا على الدولة والعرش فقد كان ذلك من أثر السياسة التى تمد لهم فى السلطة وتسمح لهم باستغلالها ، وتغضى عن صلفهم وتمردهم ؛ وقد

(١) نفح الطيب ج ١ ص ١٨٠ — البيان المغرب ج ٢ ص ٢٥٨
(٢) نفح الطيب ج ١ ص ١٨١ — ابن الأبار فى الحلة السيراء ص ١٥٤
(٣) Dozy ; ibid II P. 255
(٤) البيان المغرب ج ٢ ص ٢٧٧

(١) البيان المغرب ص ٢٨٠ و ٢٨١ — ابن خلدون ج ٤ ص ١٤٧ — Dozy ; ibid ; II 207
(٢) ابن خلدون ج ٤ ص ١٤٨

كانت هذه حال الصقالبة فى عهد الحكم المستنصر وحين وفاته ، فقد بلغ من سلطانهم ونفوذهم أن اعتزموا التصرف فى أمر العرش طبق أهوائهم ، ولولا أن سحقتهم يد ابن أبى عامر القوية لاستمر سلطانهم المطلق . بيد أن ابن أبى عامر لم يجد بأسا بعد أن أخمد شوكتهم وشرد زعماءهم من أن يستخدمهم أداة لتنفيذ إرادته ، بل لم يجد بأسا من أن يرفع بعضهم الى أسمى المناصب ، كما حدث فى شأن مولاه الفتى واضح الصقلبى ، فقد منحه حكم الولايات الجنوبية وولاه قيادة الجيش الذى بعثه لمحاربة أقوى وأخطر خصومه زيرى بن عطية البربرى حاكم المغرب الأقصى ؛ وقد كان لواضح هذا وعصبته الصقالبة شأن عظيم فيما تلا من الحوادث والخطوب

— ٤ —

ولم يستطع الصقالبة فى ظل حكومة المنصور القوية أن يتدخلوا فى شؤون الدولة أو يؤثروا فى سيرها وتوجيهها ؛ فلما توفى الحاجب المنصور (٣٩٣ هـ - ١٠٠٢ م) ، وانهارت الدولة العامرية بعدئذ بقليل ، رأى الصقالبة الفرصة سانحة للعمل ، فانضموا إلى الحزب الأموى الذى عمل لاسقاط الدولة العامرية وسحق البربر الذين آزروها ومكنوا لها ؛ ولما ظفر محمد بن هشام زعيم هذا الحزب بغيته واستولى على قرطبة وتلقب بالمهدى ، انضم اليه الفتى واضح وعصبته الصقالبة واتخذ واضحا لحجابته وانضم فريق آخر من الصقالبة بزعامة خيران العامرى وزميله عنبر إلى سليمان المستعين خصم المهدى ومنافسه ، وجرت بين الفريقين مواقع جمة ، واستتب الأمر للمهدى ؛ ولكن الصقالبة لم يخلدوا إلى السكينة ورأوا سالحهم فى إبعاد المهدى عن العرش ، فتفاهم الصقالبة من الحزبين وائتمر واضح وخيران بالمهدى فقتله الصقالبة ، فى الحمام (سنة ٤٠٠ هـ) وأخرج واضح الخليفة المؤيد هشام المحجور عليه ، وكان سجينا بالقصر منذ أيام المنصور ، وأجلسه على العرش ؛ وتولى واضح حجابته ، واستأثر بكل رأى وسلطة ؛ وقبض على ناصية الأمور فى قرطبة مدى حين ؛ ولكن سليمان المستعين لم يلبث أن هاجم قرطبة فى جموعه البربر ثم دخلها رغم كل ما اتخذه له واضح من الأهبة لمقاومته ، وفتك جنده بالسكان أيما فتك ، واقتحموا مدينة الزهراء وخربوها (٤٠١ هـ) ؛ فعندئذ رأى واضح السلامة فى خيانة المؤيد والالحاق بالمستعين ؛ ولكن الجند الصقالبة وقفوا على نيته فى الوقت المناسب فقتلوه ؛ واستمر الصقالبة فى الدفاع عن قرطبة وعن المؤيد وعرشه ، والمستعين يحاول استمالتهم عبثا ، واضطرمت الحرب بين الفريقين مدى حين ، وانتهت باستيلاء سليمان على قرطبة فى مناظر هائلة من السفك والعيث (٤٠٣ هـ) وانهار سلطان الصقالبة بانهيار عرش المؤيد ؛ وبدأ سلطان البربر ، واستأثروا بحكم الثغور والنواحى ، وانتثر عقد الخلافة وانقسمت الأندلس الى دويلات وإمارات صغيرة ، وبدأ عهد الطوائف

بيد أن الصقالبة لم ينسحبوا نهائيا من الميدان ، ولم يختفوا نهائيا كعامل يؤثر فى سير الحوادث فقد اجتمع فلهم حول زعيم منهم ، من صنائع الدولة العامرية ، هو خيران العامرى ؛ واستقر خيران بمعصبته ومن لحق به من خصوم المستعين والبربر إلى المرية بعد أن استخلصها من يد البربر ؛ وفى الوقت نفسه عبر على بن حمود حاكم سبتة فى جيش من البربر الى الأندلس محاولا أن يشق له خلال الاضطراب طريقا ، وتفاهم مع خيران العامرى والصقالبة وتحالفا على محاربة المستعين ، ثم زحفا بجموعهما على قرطبة ، ونشبت بين الفريقين حرب دائمة هزم فيها سليمان وأسر ثم قتل مع أفراد أسرته ؛ وجلس على بن حمود على العرش وتلقب بالمتوكل (٤٠٧ هـ) . ولجأ فى الحال الى سياسة الأرهاب والشدة ، ولم يترك أى مجال أو سلطة للصقالبة ، فسخط عليه خيران وتركه ، وأظهر الخلاف عليه . وأثار المتوكل بعنفه وشدته زعماء العرب ، واشتدت عليه النقمة ، ولم يلبث أن قتله الصقالبة فى الحمام (أواخر سنة ٤٠٧ هـ) وبذلك استطاعوا أن يؤثروا فى سير الحوادث كرة أخرى

ولما توفى المتوكل خلفه أخوه القاسم بن حمود وتلقب بالمأمون ، وعدل عن سياسة الشدة إلى اللين والمسالمة ؛ واستمال خيران العامرى الذى استعصم بالمرية ، وأقطع زميله زهيرا العامرى ولاية جيان ؛ وكانت الحوادث تتطور بسرعة ، وكان الخلاف يضطرم فيما بين آل حمود ؛ فانتهز الزعماء العرب تلك الفرصة وتفاهموا مع الصقالبة ضد آل حمود والبربر ، واستخلصوا قرطبة من يد المتغلبين عليها ؛ بيد أن نجم الصقالبة كان بدأ بالأفول ، ولم يكن يسطع يومئذ إلا غرارا ؛ وكانت دولتهم قد انهارت فى الواقع وتفرقوا بين مختلف الصفوف والأحزاب ؛ وكانت آخر مظاهر سلطتهم أن تولوا الحجابة لادريس بن حمود الذى استقر فى مالقة وتلقب بالتأيد بالله ، فتولى حجابته نجا الصقلبى مدى حين ، ولكن دون عصبية ظاهرة

وكان هذا آخر العهد بتدخل الصقالبة في سير الحوادث الأندلسية بصورة بارزة . ومن ذلك الحين يختفون من ميدان الشؤون الأندلسية كقوة فعالة لها أثرها الحاسم في توجيه الحوادث ، ومن ذلك الحين يتزعم نجم البربر ؛ وتتحول المعركة الداخلية الى نضال مزدوج ، نضال ملوك الطوائف فيما بين أنفسهم ، ثم نضالهم ضد العدو المشترك أعني أسبانيا النصرانية ؛ ثم يجيء دور البربر في السيادة المطلقة بسرعة ، فتنهار دول الطوائف الصغيرة تحت ضرباتهم القوية ، وتسقط الأندلس في يد المرابطين ثم يفتتحها الموحدون ، فتستمر سيادة البربر عصراً آخر ؛ ثم تنهض مملكة غرناطة في تلك القفار والخطوب العصيبة فتسطع في الأندلس حتى يحل الصراع الأخير .

تم البحث

محمد عبد الله عنان

(النقل ممنوع)

وحي القلم

مقالات الأستاذ الرافعي

مائة مقالة في جزأين

ألح القراء على الأستاذ « مصطفى صادق الرافعي » في جمع مقالاته ، فهيأ للطبع مائة مقالة تقع في جزأين كبيرين ، وقد فتح باب الاشتراك إلى آخر شهر ديسمبر من هذه السنة ، وجعل قيمة الاشتراك في الجزءين عشرين قرشاً صاغاً غير أجرة البريد وهي ثلاثة قروش لداخل القطر المصري ، وخمسة عشر قرشاً للأقطار الأخرى كي يرسل الكتاب مسجلاً

وسيكون الثمن بعد الطبع أربعين قرشاً صاغاً ، ولا يطبع فوق عدد المشتركين إلا قليل ، وترسل قيمة الاشتراك باسم الأستاذ الرافعي في طنطا ، والمقيمون في القاهرة يشتركون من إدارة « مجلة الرسالة »

مذاهب الفلسفة

مذهب الذرائع

PRAGMATISM

للأستاذ زكي نجيب محمود

لقد لبثت الفلسفة دهراً طويلا تسبح في سماء الفكر المجرد ، فلا تصغي بآذانها الى الحياة العملية التي تعج بأصدائها أرجاء الأرض جميعاً . ولا تحفل بالواقع الذي تراه الأبصار إلا قليلا ، فقد قصرت مجهودها - في الأعم الأغلب - على جوهر الأشياء في ذاتها ، وأخذت تسائل : ما المادة وما الروح وما مبعثهما ؟ ولكنها باءت بعد طول الكدح والعناء بالفشل والافلاس ... حتى جاء الفكر الأمريكي الحديث الذي يقدس العمل ويمقت البحث النظري المجدب العقيم ، وأراد أن ينحو بالفكر نحواً جديداً ، فلا يكون من شأنه كنه الشيء ومصدره ، بل نتيجته وعقباه . ولقد كان أول من صاغ هذا المذهب وليام جيمس (١٨٤٢ - ١٩١٠) الذي اعترف أنه قد استمد أصوله وقواعده من أشتات قديمة . وأن له فضل الصياغة والتعبير . أما رسالته التي قصد إلى أدائها بمذهبه فهي في أوجز عبارة : أن يتخذ الانسان من أفكاره وآرائه ذرائع يستعين بها على حفظ بقائه أولا ، ثم على السير بالحياة نحو السمو والكمال ثانيا

إنه لمن الغفلة والشطط أن نُؤتي هذه القوة العقلية فنبددها في البحث عما وراء الطبيعة من قوى مما لا غناء فيه للانسان ولا رجاء ؛ إن العقل إنما خلق ليكون أداة للحياة ووسيلة لحفظها وكمالها ، فلينصرف الى أداء واجبه ، وليضرب في معمعان الحياة العملية الواقعة ، فليست مهمته أن يصور بريشته عالم الغيب المجهول ، الذي لا يكاد يربطه بحياة الانسان سبب من الاسباب ، وليكن مقياسه الذي يفصل به بين الحق والباطل هو مقدرة الفكرة المعينة على إنجاز أغراض الانسان في حياته العملية ، فان تضاربت الآراء وتعارضت ، كان أحقها وأصدقها هو أنفعها وأجداها ، ذلك الذي تنهض التجربة العملية دليلا على فائدته . وكل شيء يؤثر في الحياة تأثيرا منتجا يجب أن يكون في اعتبارنا هو

الحقيقة ، بغض النظر عن مطابقته أو عدم مطابقته لما يخلقه الفكر المجرد من معايير ، إذ لا يُعوَّل مذهب الذرائع إلا على النتائج وحدها ؛ فان كان الرأى مثمراً نافعاً قبلناه حقيقة ، وإلا أسقطناه من حسابنا وعدّه باطلا

والواقع أن معظم الناس يتبعون فى حياتهم العلمية أصول هذا المذهب ، فهم ينتقون لأنفسهم من الآراء مايعين على تحقيق أغراضهم التى يقصدون اليها ، أو ما يعمل على رقى الانسانية وتقدم البشر بصفة عامة . خذ العقيدة فى الله مثلا ، فالأكثرية العظمى تأخذ بها لا لأن الدليل قاطع بوجوده ، (فذلك أبعد عن متناول الدهماء) ولكن لأنها ترى أن هذه العقيدة تبث فى حياة الناس روحا قوية ، وتفسح أمامهم فى الأمل الجميل الذى تزدهر به الحياة وتبتسم ، والذى لولاه لضقنا ذرعاً بفداحة عبئها . فليس منا من لا يقيس الآراء بظروف عيشه ثم يختار منها أنسبها له وأفعلها فى أداء مهمته ؛ فسلوكنا العملىّ هو فى الواقع الذى يوجه أفكارنا ، وليست أفكارنا هى التى توجه أعمالنا . ولقد قال موسوليني يوماً إنه يدين لوليام جيمس بكثير من آرائه السياسية ، وإنه بتأثيره لا يحتكم فى سياسته الى نظريات العقل المجرد ، إنما يسلك من السبل ما يراه أقوم وأدنى انتاجا

وإن نيتشه ليذهب فى هذا الاتجاه إلى أقصاه ، فيقرر أن الباطل إذا كان وسيلة ناجعة لحفظ الحياة كان خيرا من الحقيقة ؛ فبطلان الرأى لا يمنع قبوله ما دام عاملا من عوامل بقاء الفرد وحفظ النوع ؛ فلرب أكذوبة أو أسطورة تدفع الحياة إلى الأمام بما تعجز عنه الحقيقة المجردة العارية . أنظر كيف تفعل الوطنية فى رأس الجندى فيطوح بنفسه بين براثن الموت ، ولو حكم عقله المجرد لما فعل ؛ بل انظر كم يبذل الآباء والأمهات من مجهود فى سبيل أبنائهم ، ولو استرشدوا العقل وحده لآثروا أشخاصهم ولضنوا على الأبناء بأى بذل أو عطاء ، ولكننا لحسن الطالع غرائزيون بالفطرة ، فنعتنق من الآراء أحفظها للحياة ، ولولا ذلك لظلت الانسانية فى حيوانيتها الأولى لا تتقدم ولا تسير

ولا يقتصر الأمر فى ذلك على عامة الناس ، بل إن أرباب العلم أنفسهم ليأخذون بطائفة كبيرة من الآراء التى تعين على المضى فى بحثهم ، دون أن ينهض الدليل العقلى على صحة تلك الآراء التى اتخذوها أساساً لأبحاثهم ، فلا يدرى العلم ما الأثير وما الجاذبية وما المادة وما الطاقة وما الكهرباء ، ولكنه يفرضها لأنها تعينه على أداء مهمته ؛ وهذا بعينه ما يدعو اليه مذهب الذرائع ، فيكفى لأن تكون تلك الآراء صحيحة أنها توجهنا فى حياتنا توجيها صحيحا ، فلا يعنينا فى كثير أو قليل أن نعلم ما هى الكهرباء فى ذاتها ما دمنا نستطيع أن نستخدمها ، فحسبنا من معناها آثارها ، وليكن معنى الكهرباء هو ما نعمله وما تؤديه ، وعلى هذا النحو يمكننا أن نتخلص من أعوص المسائل الفكرية التى أرهقت الفلسفة بغير طائل ؛ فلندع جانبا كل بحث عن ما هية القوة أو ماهية المادة أو ماهية الله وما الى ذلك ، وحسبنا منها أن نبحث عن الآثار التى تنشأ عنها فى حياتنا اليومية العملية ، فان لم يكن لها آثار فيما نصادف من تجارب وجب اعتبارها ألفاظا جوفاء لا تحمل من المعنى شيئاً

وهكذا يريد مذهب الذرائع أن تكون كل فكرة وسيلة لسلوك عملى معين ، أعنى أن تكون الفكرة تصميما لعمل يقوم به الانسان ، أو لا تكون على الاطلاق ؛ فالفكرة التى تحيا فى الذهن وحده ليست جديرة بهذا الاسم ، ولا خير فيها إلا ان كانت مرشدا للانسان فى حياته وسلوكه ، فيكون مثلها مثل اللون الأحمر أو الأخضر على السكة الحديدية يراها سائق القطار فيوجهان تصرفه توجيها معينا ، أو كالعلامات للوسيقية كل قيمتها فى توجيه حركات الموسيقىّ ، فان لم تُفد ذلك كانت عبثا صبيانيا لا يعنى شيئاً ؛ فيجب على هذا الأساس أن تكون كل فكرة فى أذهاننا مرشداً عملياً يرسم انا سلوكنا ويضع لنا القواعد التى ينبغى أن نسير على مقتضاها فى حياتنا اليومية . أو بمعنى آخر تكون أساساً لمادة معينة . ففكرة الجاذبية مثلا معناها محصور فى تكوين عادات معينة أستعين بها فى سلوكى ، فأعرف كيف أنظم علاقاتى بالأشياء تنظيما ملائما ، فأحمل كوب الماء مثلا وفمه الى أعلى حتى لا ينسكب الماء بفعل الجاذبية ؛ وأمشى معتدل القامة خشية السقوط بفعل الجاذبية ، وأشيد مسكنى مستقيم الجدر لئلا ينهار بفعل الجاذبية ، وهلم جرا . أما إن كانت حياتى لا تتأثر بهذه الفكرة ، وكنت لا أصادف لها آثارا فيما أصادف من تجارب ، كانت فى اعتبارى وهما وخطأ ، بغض النظر عن حقيقة وجودها فى العالم الخارجى أو عدم وجودها ؛ فالرأى الصحيح هو ما ييسر لى سبيل الحياة ويعمل على توفيقها

ونجاحها ، والرأى الخاطئ هو ما يفعل عكس ذلك ، أو ما لا أرى له أثرا فى الحياة

وظاهر أن نظرية التطور تؤيد هذا المذهب وتدعمه ، لأن العقل عندها ليس إلا عضوا كسائر الأعضاء يتذرع به الانسان فى تنازع البقاء ، وأنه لو لم يكن العقل أداة من أدوات البقاء لما وجد أصلا ؛ وإذن فالفكرة التى تنشأ فيه لا تكون صادقة بمقدار مماثلتها للحقيقة الواقعة فى الخارج ، كلا ، بل مقياس صدقها هو فى مقدرتها على إجابة الظروف المحيطة بنا على النحو الذى يمكن لنا فى البقاء . ولتوضيح ذلك نقول إنه من المعلوم أن الأشياء الخارجية فى ذاتها ليس لها ألوان ، إنما الألوان من صنع أعيننا ، ولكنى ما دمت أستطيع بفكرة اللون التى فى ذهنى (وإن لم تكن موجودة فى الخارج) أن أميز الأشياء فأعرف التفاحة الناضجة مثلا باحمرارها ، والفجة باخضرارها ، ففكرة اللون صحيحة صادقة . كذلك قل فى الصوت ، فليس للأصوات وجود فى الخارج ، إنما هى أمواج تقصر حينا وتطول حينا ، حتى إذا ماقرعت الأذن ، ترجمتها هذه بما نعهد من أصوات ، ولكن ماذا يعنينى من عدم مماثلة فكرة الصوت فى ذهنى للأمواج الخارجية فى الهواء ، ما دمت أعرف أن هذا الصوت المعين يدل على سيارة قادمة فأنجو بحياتى من الخطر ؟ إن فكرة الصوت حقيقية ما دامت تعمل على نجاح الحياة وبقائها ... إن الحياة كما يعرفها سبنسر هى ملاءمة حالات الانسان الداخلية بالظروف الخارجية ، وإذن فالعقل الصالح للحياة هو ذلك الذى يدرك اختلاف الظروف الخارجية لنعدل من سلوكنا بما يلائم الموقف الجديد ، وليس يعنينا بعد ذلك فى كثير ولا قليل أن تكون الصورة الذهنية التى رسمها لنا العقل من الأشياء الخارجية ، مطابقة لأصلها أو مشوهة محرفة ، فالحقيقة العليا فى الوجود هى الاحتفاظ بالبقاء أولا ، ثم الارتفاع بالحياة نحو الكمال . فكل ما يؤدى الى ذلك هو حق صريح . وفى ذلك يقول « ديوى » العالم الامريكى المعروف : إن الفكر أداة لترقية الحياة وليس وسيلة الى معرفة الأشياء فى ذاتها . ويقول «شلر» : إن الحقيقة هى ما تخدم الانسان وحده .. وكلا الرجلين من دعاة هذا المذهب

ونحن نجمل فيما يلى ثلاثة الشروط التى يضعها مذهب الذرائع لصدق فكرة ما :

١ ــ فأولا يجب أن يكون للفكرة قيمة فورية Cash-value ، ومعناها أن الانسان يجب أن يشاهد صحة رأيه أو خطأه فى تجربته العملية ، فان جاءت هذه التجربة العملية موافقة للفكرة كانت الفكرة صحيحة وإلا فهى خاطئة

٢ ــ وثانياً أن تكون الفكرة منسجمة مع سائر أفكارى وآرائى . فلا يكفى أن تكون كل فكرة صحيحة على حدة بالنسبة لقيمتها الفورية ، ولكنها يجب كذلك ألا تناقض الأفكار الأخرى . فلا يجوز مثلا أن أفرض نوعا من الذرات فى علم الطبيعة ، ثم أفرض نوعا آخر منها فى علم الكيمياء ، حتى ولو كان كل منهما صحيحا فى ميدانه الخاص — فاذا وجدنا أمامنا فكرتين عن شىء ما ، كل منهما صحيح بالنسبة لقيمته الفورية ، وجب أن نختار إحداهما على أساس البساطة ، فأبسط الفكرتين أصحهما ؛ فمثلا لما أتى كوبرنيك برأيه الجديد عن الكون يعارض به رأى بطليموس القديم ، كانت كلتا الفكرتين صادقة إذا قيستا إلى ما ينجم عنهما من النتائج العملية فى حياة الناس ، ولكن ما دامت فكرة كوبرنيك أقل تعقيدا من الأولى ، كان لزاما أن يقع عليها اختيارنا

٣ ــ ولا بد للفكرة بعد هذا وهذا أن تطمئن لها نفس الانسان وترضى ما دام ذلك لا يتعارض مع القيمة العملية . فالعقيدة الدينية مثلا ، على الرغم من أن ليس لها قيمة فورية فى حياتنا إلا بمقدار ضئيل ، إلا أنها واجبة ، لأنها تخلع على حياتى صبغة من التفاؤل ، وهى فى الوقت نفسه تنسجم مع الأفكار الأخرى ولا تتعارض معها . ومعنى ذلك أنه اذا تساوت ظروف فكرتين ، ثم كانت إحداهما تبعث التفاؤل والأخرى تبعث التشاؤم ، كانت الأولى بالنسبة لنا أصدق وأصح . فالمؤمن والملحد كلاهما لا تؤثر عقيدته فى شؤون حياته ! ولكن الأول متفائل يرجو الآخرة ، والثانى متشائم لا يرجو شيئا ؛ إذن فالايمان أصدق من الالحاد وأحق ، لأنه أجدى على الانسان وأنفع

تلك هى الحقيقة فى عرف هذا المذهب ؛ ولقد يعترض بحق أنها قد تؤدى الى التنافر بين الناس ، والى عدم انسجامهم فى سلك المجتمع ، لأن كل فرد سينتق لنفسه الرأى الذى ينفعه بغض النظر عما يتخذه سواه من آراء ؛ وإذن فقلسفة الانسان ستعتمد على

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

وكيل كلية العلوم

كوخ KOCH

رابع غزاة المكروب

طبيب القرية الذى تجر بالطب لجهله أسباب الداء ثم ادعائه علاجه ؛ الذى شغله البحث فى أصول الأمراض عن مداواة أربابها ؛ الذى حقق أحلام بستور وأثبت أن المكروب ينتج الأمراض ، وأن لكل مرض مكروباً يخصه ، ويخصه وحده ؛ الذى علم الدنيا كيف تصطاد النوع الواحد من المكروبات ، وتصطاده خالصا خاليا من الأخلاط ؛ الذى كشف مكروب الجمرة الخبيثة ، قاتلة الماشية والانسان ، ومكروب السل قاتل الانسان والحيوان ؛ الرجل الذى كشف مكروب الكوليرا على أرض مصر فى أجسام ضحاياها . البطل الذى نزل بساحات الموت فأظلته فيها أرفع بنوده ، وقاتلته على أرضها أفتك جنوده ، فأسر منها على هواه ، وخرج عنها سالما قد أخطأته سهامها قضاء وقدراً

المترجم

— ٣ —

كان كوخ مستقرّ النفس ، بارد العاطفة ؛ فلما نجا من هذه المخاطر بسلام ، وأصاب بها ما أمّل من نجاح ، لم يَدُرْ بخلده أنه أصبح فى عداد الأبطال ، ولم يخطر بباله أن ينشر أبحاثه فى

مناهجه وظروفه ، ولكننا نسارع فنقول إن مذهب الذرائع قد أحس فى نفسه بهذا النقص ، فحاول أن يوفق بين قواعده وبين مصلحة الجماعة لا الفرد ، فقرر أن الرأى الصحيح هو الذى يكون له فائدة عملية لأكبر عدد ممكن من الناس ، بل ويحسن أن تشمل نتائجه النافعة الانسانية بأسرها ، وإذن فلا ينبغى أن نحكم على رأى بالصواب أو بالخطأ إلا بعد تجربة اجتماعية طويلة الأمد . ولكن يؤخذ على مذهب الذرائع وجوه أخرى من النقص نرجو أن نعرضها فى مقال قال

زكى نجيب محمود

الناس . واليوم إذا أنجز الرجل الباحث عملا بارعاً كهذا ، وكشف عن أسرار لها مثل هذه الخطورة ، استحال عليه أن يعقد لسانه فلا يتحدث بها

وظل يسخّر نفسه فى العمل تسخيراً ، ويذللها فيه تذليلا ، وهو فى ذلك ساكت صامت ، حتى ليكاد المرء يتهم هذا الطبيب الربيّ الألمانى العبقرىّ بأنه لم يدرك مقدار المجال والخطر الذى كان فى تلك التجارب التى أجراها وحيداً فى عزلته وانزوائه

نعم تابع العمل وصابره ، فلا بد له أن يعلم فوق الذى علمه ؛ فأخذ يحقن الخنازير الغينية والأرانب ، والشياه أخيراً ، بذلك السائل ذى المظهر الطاهر والمخبر القاتل من قطراته العالقة . ولم تكد تدخل هذه الآلاف القليلة من المكروب إلى دم هذه الحيوانات حتى يتضاعف عددها بلايين المرات بسرعة واحدة ، وبفظاعة واحدة ، فى الفأر الصغير والشاة الكبيرة على السواء ؛ ولا تمضى ساعات حتى تبج بها أنسجة كانت سليمة تزدحم فى الشرايين الصغيرة والأوردة الرفيعة حتى تختنق بها ، وحتى يستحيل الدم الأحمر القانى إلى دم رهيب أسود — فتنفُق الشياه ، وتفنى الخنازير والأرانب

كان كوخ فى الأطباء واحدا من سواد كثير ، فلم يكن له اسم ، ولم يكن لحاله ذكر ، ولكنه فارق هذا السواد بغتة ، وارتفع مُصعِداً إلى صفوف الأمجاد الخالدين من الباحثين ؛ وكان كلما سهر فى اصطياد المكروب ساءت عنايته بمرضاه بقدر ذلك ؛ صاحت أطفالٌ رُضّعٌ فى ضياع بعيدة ، ولكن الطبيب لم يحضر ؛ واحتدّ الألم فى أضراس فلاحين ، فاصطبروا على أوجاعهم ساعات مُضنيات ، ولكن دون جدوى ؛ واضطُرّ كوخ أخيراً أن يحول نصيباً من مرضاه على طبيب آخر ؛ وقل حظ زوجته من رؤيته وزاد همها ، وودّت اليه ألا يخرج إلى مرضاه وبه رائحة كيميائياته وحيواناته . أما هو فلم تصله شكوى زوجه ، ولا صوت مرضاه ، فلو أنهم وهم القريبون منه صاحوا له من وراء النصف الأبعد للقمر ما زادوا ولا نقصوا فى اسماعهم اياه — ذلك أن قضية خفية جديدة ساورت رأسه ، وملكت لبه ، وأسهرته الليالى ، قال لنفسه :

هذه البشلات تموت وشيكا على قطعة الزجاج تحت المجهر ،

فأتى لها وهى بهذا الضعف أن تنتقل فى الطبيعة من حيوان مريض بالجمرة إلى حيوان جدّ سليم ؟

وكان فلاحو أوربا والبيطريون فيها يؤمنون بخرافات غريبة عن أسباب هذا المرض ، وعن تلك القوة الخفية لهذا الوباء ، وقد أصليت كالسيف فوق رقاب أغنامهم وأبقارهم لا يدرون متى يهبط عليها بالقتل المروع الفريع . أما هذه البشلات الصغيرة الضئيلة التى لا يبلغ طول الواحدة منها جزءا من ألف من المليمتر ، فلن يتصور عاقل أنها سبب هذا المرض الفظيع

قال البقارون والغنامون لكوخ : « ياسيدنا الدكتور ، هب أن مكروباتك الصغيرة تقتل أبقارنا وأغنامنا ، فقل لنا بالله إن كان هذا حقاً ، كيف أن القطيع يكون سليما فى مرتع ، يأكل ويشرب ، ويثب ويلعب ، فاذا نقلناه إلى مرتع آخر ، كثير العشب ، وافر النعمة ، امتنع أكله ، وذهب لعبه ، وتساقطت وحداته ، وماتت سريعاً كأنها الذباب »

كان كوخ يعلم أن هذه الوقائع حقا لا كذب فيها ، كان يعلم أن فى أوڤرن Auvergne بفرنسا جبالاً خضراء لا تذهب اليها قطعان الأغنام حتى يأخذها الموت واحدة واحدة ، أو عشرة عشرة ، حتى ومائة مائة ، بسبب هذا الداء الأسود داء الجمرة ؛ واجتمع الفلاحون حول نيرانهم فى ليالى الشتاء الباردة وأخذوا يتهامسون : « إن حقولنا ملعونة مسكونة »

وحار كوخ فى أمره — وكيف تقوى هذه البشلات الدقيقة على العيش سنوات عديدة فى مثل هذا الشتاء ، فوق هذه الحقول ، وعلى تلك الجبال ؟ كيف يكون هذا ؟ وهو حين أخذ شيئاً من طحال فأر وبىء ، ونشره على شريحة من الزجاج ، وأخذ ينظر اليه من المجهر ، وجد المكروب قد عجز عن الحياة ، فانهدمت حدوده ، وانتشر جرمه ، واختفت صورته اختفاء ؛ نعم كيف يكون ، وهو لما وضع من بعد هذا على المكروب فوق شريحة الزجاج سائلا من عين ثور ، وهو نعم الغذاء الطيب ، لم ينم المكروب ، لم يتكاثر ، وهل تتكاثر الأموات ؟ ثم هو لما جفف هذا الدم الوبىء ، وحقنه فى فئران ، ظلت فى أقفاصها تلهو وتمرح ناعمة بالحياة ؛ إذن هذه المكروبات ماتت ؛ نعم ماتت هذه المكروبات التى كانت تقتل الشاة السمينة والبقرة الضخمة الكبيرة على السواء

وتساءل كوخ : « هذه المكروبات تموت على زجاجاتى النظيفة اللامعة فى يومين اثنين ، فكيف استطاعت أن تواصل الحياة على الحقول زماناً طويلا ؟ »

وذات يوم وقع بصره على حَدَث غريب تحت مجهره — تحول عجيب أدّى به إلى حل الطلسم الذى أعجزه . وجلس كوخ على كرسيه بمعمله الصغير فى بروسيا الشرقية وكشف السر المخبوء فى حقول فرنسا وجبالها ؛ وحكاية ذلك أنه جاء بقطرة من قطراته العالقة ، وهى حبيسة فى نقرتها الضيقة من شريحة الزجاج ، وتركها فى مدفأ درجة حرارته كدرجة جسم الفأر ، وخلفها هناك أربعا وعشرين ساعة ، فلما عاد قال : « لابد أن يكون المكروب قد نما فى القطرة واستطال خيوطاً طويلة كطول تلك التى تنمو فى أجسام الفئران » . ونظر فى المكرسكوب فوجد غير الذى أمّله . وجد أن الخيوط بعد أن استكملت طولها ، أخذت حدودها تنهم ، وتنقط الخيط بأجسام بيضاوية لمعت كحبات الزجاج ، وانتظمت على طوله كعقد اللؤلؤ ، بَرَق واستقام

استاء كوخ أول الأمر ، فسخط ولعن ، وحسب أن غريباً من المكروب دخل إلى مكروبه فأفسده ، ولكنه لما أعاد النظرة وجد حُسبانه الأول خاطئاً ، فالحبات اللامعة كانت فى داخل خيوط المكروب ، وهذه الخيوط نفسها هى التى تحولت إلى تلك الحبات . وجفف كوخ قطرته العالقة ، وحفظ ما بقى منها على الزجاج شهراً أو بعض شهر . ثم شاء القدر أن يعود فينظر اليها من خلال عدسته ، فوجد العقود لا تزال على لمعانها ؛ فخطر له أن يُجرى شيئاً من التجارب عليها . فأتى بقطرة صافية من عين ثور ، فأسقطها على تلك المكروبات التى استحالت عقودا ، وأخذ ينظر اليها فاذا بالحبّات تنمو فتصير إلى بشلات ، ثم إلى خيوط طويلة مرة أخرى . عام رأس كوخ اختلاطا واندهاشاً

قال : « إن هذه الحبات البارقة الغريبة قد عادت فاستحالت بشلات تارة أخرى ، فهذه بذور المكروب ، صوره الأمتن التى تصمد للحر الشديد والبرد القارص والجفاف القاتل ..... لابد

أن المكروب على هذه الصورة يستطيع البقاء طويلا فى الحقول ، لا بد أن البشلات تستحيل إلى هذه البذور »

وقام كوخ عندئذ بجملة من التجارب الدقيقة البارعة ، أجراها ليمتحن صحة ظنه فى هذه البذور ، فاستخرج طحالات من فئران مجهورة ، استخرجها الآن بحذق ظاهر بعد الخبرة والمران ، ورفع هذه الأطحلة ، وفيها الموت ، على مشارط وعلاقط طهرت فى النار ، واحتاط ما استطاع الحيطة ألا تمسها مكروبات من التى تسبح على ضلال فى الهواء ، وحفظها يوميا فى درجة حرارة كالتى لجسم الفأر . فلم يكذب ظنه ، فخيوط المكروب استحالت الى حبات من البذور بارقة كالزجاج ، وتلا هذه بتجارب عديدة حبسته طويلا فى حجرته الصغيرة القذرة ، خرج منها على أن هذه البذور تبقى حية أشهراً كثيرة ، وأنها من بعد ذلك تنفقص على التو عن تلك البشلات القاتلة إذا هى وضعت فى قطرة من سائل عين ثور ، أو إذا هى أدخلت على فلقة خشب فى قاعدة ذنب فأر

قال كوخ : « إن هذه البذور لا تتكون فى حيوان وهو حى أبدا ، وانما تظهر فيه بعد وفاته إذا احتُفِظ بجسمه حارا » . وأثبت ذلك اثباتاً جميلا بأن وضع أطحلة وبيئة فى ثلاجة ، ثم عاد اليها بعد أيام فأخذ منها وحقن الفئران ، فلم يصبها سوء ، فكأنما حقن فيها لحماً طازجاً سليما

وكان العام عام ١٨٧٦ ، وكان كوخ قد بلغ الرابعة والثلاثين فخرج لأول مرة من عُشّه ، من قرية قُلِشْتَين Wollstein ليخبر الدنيا فى شىء من الفأفأة ، أنه قد ثبت ثبوتاً قاطعاً بعد طول الشك أن المكروبات أسباب الأدواء . لبس كوخ أفخر ثيابه ، ووضع على عينيه نظارتاه وقد تأطر الذهب حولها ، وحزم مجهره ، وعددا من القطرات العالقة فى محابسها من الزجاج وقد تنفشت بمكروب الجمرة القاتل ، وأضاف إلى متاعه قفصاً أخذ يهتز ببضع عشرات من الفئران البيض الصحيحة ، وركب القطار ووجهته بلدة برسلاوة Breslau ليعرض فيها مكروب الجمرة الذى كشفه ، وليبين للأشهاد كيف يقتل هذا المكروب فئرانه ، وكيف أنه يستحيل تلك الاستحالة الغريبة فيصير عقوداً كالسُّبَح — وأراد بخاصة أن يطلع الأستاذ كُون Cohn على كل هذا ، وهو أستاذ النبات بجامعة برسلاوة ، وكان يكتب أحياناً الى كوخ مشجعاً حامداً

أعجب الأستاذ كون بتجارب كوخ التى أجراها وحيداً لا يسمع به أحد ، وعلم أنها ذات خطر كبير لم يفطن له كوخ نفسه ، وتصور فى ابتسام وخبث ما يكون من أثرها فى نفوس جهابذة الجامعة وأعلامها ، وهم ماهم من رفعة القدر وشيوع الذكر ، وكوخ هو ماهو من الضمة والخمول ، فبعث اليهم يدعوهم لحضور الليلة الأولى للعرض الذى يقيمه طبيب القرية الصغير

— ٤ —

ولبوا الدعوة ، نعم لبوها ليستمعوا إلى هذا الذى جاء من أقصى الريف يحدثهم عن العلم ؛ ولعلهم جاءوا رعاية لحرمة الأستاذ الشيخ كون . ولقيهم كوخ ، ولم يحاضرهم فى الذى أتى له ، فلم يكن قط ممن يحسن صناعة الكلام . انعقد لسانه ، ولكن يده انطلقت ثلاثة أيام ولياليها ترى هؤلاء السفسطائيين ماكان من أبحاثه طوال تلك السنين ، وماكان فيها من تلمس فى الظلام ، وتحسس فى دياجير المجهول ، وماكان فيها من عثرات تبعتها نهضات ، ومن نهضات تلتها عثرات ؛ فلم ينزل أحد من كبريائه ، ولم يهدئ من ادعائه ، نزولَ هؤلاء الجهابذة وهدوءهم ، وقد كانوا أتوا فى كثرتهم يستمعون لرجلنا القليل ، وقد كانوا طامنوا أنفسهم على التسامح ، وألا يأخذوا عليه المآخذ ، بل يدعونه يُرسل القول ارسالا ، فما عند مثله يطلب الجدل ، ولا ان هم فى منزلته يثار النقاش . ولم يجادل كوخ قط ولم يتفيهق قط ، ولم يحلم الأحلام ، ولم ينطق عند الغد بصنوف النبوءات ، وإنما ظل يضرب فِلَق الخشب فى ذيول الفئران فكانت كالسهام سرعة ودقة ، وفتح أساتذة البشلجة (١) Pathology عيونهم وسمعها لما رأوه يتناول تلك البشلات والبزور والمكرسكوب بيد صَناع لا تكون امالم إلا فى ستّينه . كان انتصاراً رائعاً روعة الصباح الضاحى

وكان من بين هؤلاء الأساتذة الأستاذ كون هايم Cohnheim وكان من أمهر علماء أوربا فى دراسة الأمراض ، فلم يستطع صبرا على الذى سمع ورأى ، وخرج ثائراً من صالة العرض وذهب إلى

(١) علم الأمراض

معمله واندفع على التو الى حيث يعمل الشباب من مساعديه فى أبحاثه ، فصاح فيهم : « أبنائى ، دعوا ما بأيديكم وانصرفوا فاستمعوا الى الدكتور كوخ ، فان هذا الرجل كشف كشفاً عظيما » واسترجع الأستاذ أنفاسه

قال الطلاب : « ولكن ياسيدنا الأستاذ مَنْ كوخ هذا فما لنا به من علم ؟ »

قال الأستاذ : « مهما يكن من أمره ، فالكشف الذى أتاه عظيم ، كشفٌ غايةٌ فى الدقة ، غايةٌ فى البساطة ، غايةٌ فى العجب . وكوخ هذا ليس أستاذاً ... ولم يتعلم قط كيف يجرى الأبحاث ... وإنما تعلمه من ذات نفسه ، وصنع كل ما صنع بمجهوده وحده »

قال الطلاب : « ولكن ما هذا الكشف ياسيدنا الأستاذ ؟ »

قال الأستاذ : « أقول لكم اذهبوا ، واذهبوا جميعاً ، وانظروا بأعينكم ، واسمعوا بآذانكم ، فانه عَلِم الله أخطر كشف فى عالم المكروب ... كشف نتضاءل جميعاً إلى جانبه ....

اذهبوا . اذهبوا .. »

ولم يتم الأستاذ قوله إلى تلاميذه حتى كانوا قد خرجوا من الباب واختفوا عن بصره فلم يسمعوا آخر نبراته ، وكان من بينهم پول إرليس Paul Ehrlich (١)

قال بستور قبل هذا اليوم بسبع سنوات : « إن الانسان فى مقدوره محو الأمراض المعدية من على ظهر البسيطة » ؛ وعندئذ قال أحكم أطباء ذلك العصر : « إنه رجل مأفون » ؛ ولكن فى هذه الليلة خطا كوخ بالدنيا أول خطوة فى تأويل الحلم الذى ارتآه بستور . وختم كوخ حديثه الى الأساتذة الأمجاد قال : « إن أنسجة الحيوانات التى تموت بداء الجمرة لا تعدى بهذا الداء إلا إذا هى حملت بشلاته أو بزور هذه البشلات ، سواء أكانت هذه الأنسجة سابحة أو فاسدة ، متعفنة أو جفت أو مضى عليها عام . وفى وجه هذه الحقيقة يجب أن يزول كل ظلّ من شك فى أن هذه البشلات هى سبب هذا الداء » ختم حديثه الى الأساتذة بهذا القول حتى لكأن تجاربه التى أراها اياهم لم يكن بها كفاية من اقناع ؛ وزاد على ما قال بأن أبان لمستمعيه ، وقد أخذتهم الدهشة ، طريقاً لمكافحة هذا الوباء ، طريقاً أرته تجاربه اياه لمحو هذا الداء ، قال : « إن كل حيوان يموت بالجمرة يجب اعدام جثته فى الحال ، فاذا لم يكن فى الامكان حرقها ، فلا أقل من دفنها عميقة فى الأرض حيث البرودة شديدة فلا تأذن للبشلات أن تستحيل الى بزور تقاوم شدة الحياة وجبروتها طويلا . . . . . »

وهكذا علم كوخ الناس فى هذه الثلاثة الأيام كيف يبدأون فى محاربة المكروب ويدفعون عن أنفسهم أسباب المهالك التى تكمن لهم خفية فى الظلام ؛ وهكذا بدأ فى حمله الأطباء على الاقلاع عن اللعب الهازل بالحبوب والعلق فى مدافعة الأدواء ، واحلال العلم والمنطق محل السحر والخرافات

وقع كوخ بذهابه الى مدينة برسلاوة فى زمرة من رجال أمناء كرماء مخلصين ، بذلوا له من صداقتهم ومن عونهم الشىء الكثير ، نخص بالذكر منهم الأستاذين كون Cohn وكون هايم Cohnheim ، ذلك لأنهما أولا لم يسرقا أبحاثه ، ولصوص العلم ليسوا أقل عددا من اللصوص فى مناشط الحياة الأخرى . وثانياً لأنهما سيّحا له وهتفا هُتافاً تردد أصداؤه فى أوربا ، حتى لأوجس بستور خيفة على مكانه سيدا لبُحّاث المكروب ، وأخذ هذان الرجلان برسلان الكتاب تلو الكتاب الى مصلحة الصحة الامبراطورية ببرلين يعرفانها بأمر هذا الرجل الجديد ، مفخرة ألمانيا ؛ وصنعا ما صنعا ليمكناه من ترك عيادته ، وهى لا تكسبه غير البلاية ، وتيسير الرزق والمال له ليفرغ لدرس المكروب ودفع أدوائه . ومن يدرى ماذا يكون من أمر كوخ لو أنه جاء برسلاوة فلم يجد بها غير الزجر والمهانة والصدود ، إذن لعاد الى قريته واكتفى بمعاودة صناعته من جس النبض والنظر فى ألسنة المرضى ، ولما كان من أمره الذى كان . إن رجل العلم لا ينجح إلا أن يكون فيه بعض خُلُق الدلالين وأرباب المعارض ـ وهكذا كان اسبانزانى الفخم العظيم ، وهكذا كان بستور الحساس الصخاب ـ وإلا أن يكون له من أرباب الجاه وذوى السلطان من يحميه بجاهه ، ويدفعه ويزجه فى معترك الحياة ؟

يتبع

أحمد زكى

(١) هو العالم المكروبى الشهير ، وسنترجم له ٥٠٥٧

نظرية النسبية الخصوصية

البحث الأول

الزمان ونسبيته

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

عضو أكاديمية العلوم الروسية

— ١ —

لنتصور قطاراً يتحرك من محطة القاهرة الساعة الثامنة، فما معنى تحركه الساعة الثامنة ؟ لا خلاف فى أن معناه أن آونة تحرك القطار وحادثة وقوف العقرب الكبير فى الساعة على الرقم «١٢» والصغير على الرقم «٨» متوافقان

ولقد يجول بخاطر الكثيرين أن فى هذا البيان الكشف عن حقيقة الزمان . وهذا ظن صحيح فيه من الوثوق الشيء الكثير لو كان العالم كله الساعة وما حولها . ولكن مثل هذه الفكرة هل تنطبق على حادثتين : الأولى حدثت فى مكان قصى عن مكان الأخرى ؟ فمثلا لو فرضنا حادثة مثل الحادثة «ا» حدثت فى الشمس، وحادثة أخرى مثل الحادثة «ب» حدثت على الأرض ؛ فهل فى الامكان النظر فى تواقتهما ؟

إن الاجابة على مثل هذه الأسئلة تتطلب منا أن نذكر أن مسألة التواقت مسألة ترجع لتساوى سير حركة الساعات فى مختلف الأمكنة، وهذا الأمر يرجعنا الى واسطة التعيين

لنفرض كرة مثل «ك» بها نقطتان ثابتتان، الأولى «ا» والثانية «ب»، وبكل نقطة من هاتين النقطتين توجد ساعة، ولنرمز لساعة النقطة الأولى بالرمز «س١»، ولساعة النقطة الثانية بالرمز «س٢»، ولنفرض أن المسافة بين هاتين النقطتين هى «م» ؛ فلكى نوحّد سير الساعتين نجد أمامنا إحدى طريقتين نسلك إحداهما لتوحيد سير ساعتى النقطتين : الطريقة الأولى تنحصر فى نقل الساعة «س١» والساعة «س٢» إلى مكان واحد، ثم ضبطهما هنالك على زمان واحد، ثم اعادة كل ساعة الى المكان الأول . والطريقة الثانية تستند على إشارة ضوئية من النقطة «ا» الى «ب» مثلا، فتضبط بناء عليها الساعة «س٢» زمانها حسب زمان الساعة «س١»

وهاتان الطريقتان لا زالتا مستعملتين إلى يومنا الحاضر فى حياتنا العملية ؛ فالسفن تتبع الطريقة الأولى عندما تضبط وقت ساعاتها حسب أزمنة الموانئ التى ترسو عليها ؛ وتتبع الطريقة الثانية بمراجعتها أزمنة ساعاتها وكرونومتراتها خلال سيرها باشارات التليفون اللاسلكى لتصحيح الفروق الناشئة فى الزمن من اختلاف خطوط الطول والعرض على سطح الكرة الأرضية . ويمكننا استناداً إلى هذه الظاهرة تقرير اختلاف الزمان ؛ غير أن هذا التقرير لا تكون له قيمة علمية إلا بعد تعميمه على الأكوان

فلنفرض فى كون مثل «ك» ساعة مثل «س»، فهل فى الامكان جعل ساعتين مثل «س١» و«س٢» فى كونين مثل «ك١» و«ك٢» تتحركان حركة انتقالية مستقيمة متساوية فى الزمان مع زمان الكون «ك» ؟

الاجابة عن هذه المسألة خارجة عن نطاق علم الطبيعة (Physics) مادامت هذه الأكوان يتحرك بعضها إزاء بعض حركات انتقالية ؛ ومهما كانت هذه الفروق المتولدة من هذه الحركات ضئيلة فمسألة تساوى الزمان فى هذه الأكوان أو عدم تساويه لا يمكن معرفتها إلا بالرجوع الى الاشارات الضوئية . والاستناد على الأمواج النورية فى تقرير تواقت الزمان قائم على ثبات سرعة النور، وهى وإن كانت سرعة محدودة إلا أنها سرعة فوق كل سرعة

وقضية ثبات سرعة النور تجرنا إلى معرفة حركات الأكوان المطلقة خلال الفضاء الأثيرى

بيان : اختصرت هذا البحث من كتابى : Die Grundlangen der Relativitaetsthearie; Leipzig. 1934 ، الذى أحاول نقله مختصراً إلى العربية تحت عنوان : « نظرية النسبية وفيزيقها الحديثة » وقد أوشكت على الانتهاء من جزئه الأول فى ٢٨٠ صفحة، وسيقدم إلى الطبع عن قريب . ومقال اليوم أول أربع مقالات سنطبعه :

١ : وحدة قوانين الطبيعة والبعد الرابع فى النسبية

٢ : مبادئ الميكانيكا الحديثة

٣ : مبادئ الديناميكا الجديدة

٤ : كون مينكوفسكى والفاصلات الفراغية والزمانية

وستكون هذه المقالات الخمس زبدة النسبية الخصوصية

اذا أرسلنا شعاعة نور في اتجاه سرعة الأرض فستكون سرعة هذه الشعاعة بالنسبة للشاهد الذي أرسلها من فوق الأرض :

« ٣٠٠,٠٠٠ ك م ـ سرعة الأرض في الفضاء الأثيري »

وفي حالة ارسال شعاعة النور في عكس اتجاه سرعة الأرض فستكون سرعة الشعاعة متضخمة بسرعة الأرض بالنسبة لمرسلها

« ٣٠٠,٠٠٠ ك م + سرعة الأرض في الفضاء الأثيري »

وكل التجارب التي أجريت في هذا الصدد أسفرت عن نتيجة سلبية

— ٢ —

لنفرض شعاعة نور مثل « س ع » تقع على مرآة نرمز لها بالرمز « م » ، وهذه المرآة نصف عاكسة ، فتشق شعاعة النور « س ع » شعاعتين : المعكوسة « س ١ » والمكسورة « س ٢ ع » ، وقد وضعت المرآة « م » بالنسبة لاتجاه الشعاعة « س ع » بحيث تجعل الشعاعتين « س ١ » و « س ٢ ع » متعامدتين إحداهما على الأخرى ؛ ولنفرض أنه قد وضعت في خط سير هاتين الشعاعتين وعلى بعد ثابت من المرآة « م » مرآتان أخريان ، الأولى « م ١ » والثانية « م ٢ » بحيث تردّان الشعاعتين « س ١ » و « س ٢ ع » إلى المرآة « م » ؛ وهنالك عند التقائهما ثانية تعكسان عكساً نصفياً فينحد الجزء المعكوس من الشعاعة « س ٢ ع » مع الجزء المكسور من الشعاعة « س ١ » في الشعاعة الأخيرة « س ٢ ع » ، فاذا ما سارت الشعاعتان مسافة واحدة من نقطة افتراقهما إلى نقطة التقائهما ثانية : أعني إذا كانت المسافة من « م » الى « م ٢ » تعادل المسافة من « م » الى « م ١ » تعادلا تاماً ، فانك إذا ما وضعت عينيك في الوضع « د » شاهدت الشعاعة « س ٢ ع » كاملة لا نقص فيها ؛ أما إذا كانت المسافة « م ـ م ١ » تنقص أو تزيد على المسافة « م ـ م ٢ » بما يعادل نصف موجة النور أو حاصلا صحيحاً لنصف موجة النور ، فان الشعاعتين تكونان قد ساوتا منذ افتراقهما إلى اتحادهما ثانية غير متعادلتين ، فينجم عن ذلك تداخل نوري بين حركة الموجتين يشف عن نظام تداخلي يتظاهر في شكل حلقات من النور والظلمة [1]

ولو فرض وأزحنا « م ١ » أو « م ٢ » قليلاً بمعنى أننا غيرنا تعادل المسافتين « م ـ م ١ » و « م ـ م ٢ » ألفينا هذه الحلقات تتحرك ، أو قل تتقلص شيئاً فشيئاً إلى أن تختفي في الوسط المشترك بينهما ، ثم تظهر حلقات جديدة من خارج النظام ، ويكون عدد ما يختفي معادلا عدد ما يظهر من الحلقات ؛ ومن مقدار تغير « م ـ م ١ » أو « م ـ م ٢ » نستطيع حساب الحلقات الواجب اختفاؤها على هذا المنوال . لهذا لو كان هنالك راصد مشاهد لهذا النظام ، وطفقت حلقاته تتقلص بغتة ، أمكنك أن تحكم يقيناً إن كانت المسافة « م ـ م ١ » أو « م ـ م ٢ » قد شرعت في التغير ؛ وإذا حسبت عدد الحلقات المختفية استطعت التنبؤ بمقدار تغير المسافتين

أجرى[1] الدكتور ميكلسون Michelson ، والأستاذ مورلي Morley تجربتهما بحيث كانت حركة الشعاعة موازية لحركة الأرض « ع » حول محورها مثلاً ، أي وضعت « م ١ » بحيث تكون المسافة « م ـ م ١ » ممتدة شرقا غربا ، فتكون لذلك الشعاعة « س ١ » متعامدة على اتجاه حركة الأرض حول محورها ، أي تكون ممتدة شمالا جنوبا في الاتجاه « ع »

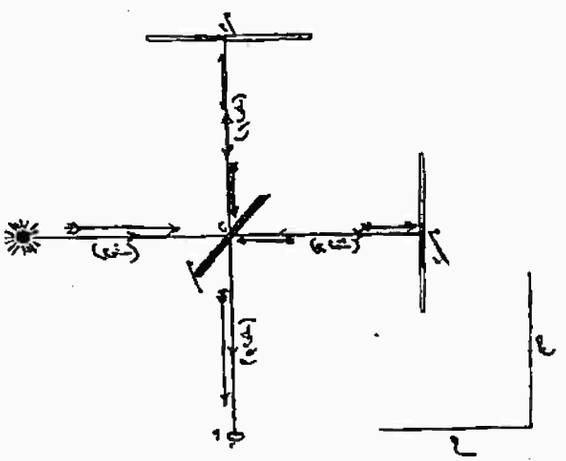

شكل ياتي رقم « ١ » من كتاب :
Louis-Gustave du pasquier : Le principe de la Relativité et les théories d'Einstein. p. 44 7 ig : 6.

ولكن عند ما تنفصل الشعاعتان « س ١ » و « س ٢ ع » عند النقطة « ح » تسير كلتاهما بسرعة واحدة بالنسبة للفضاء الأثيري ، لأنهما كلتيهما تموج أثيري ، والاختلاف لا يكون إلا باسنادها إلى شيء آخر ، وليكن الجهاز : « جهاز ميكلسون —

1 : Louis Gustave du Pasquier : Le principe de la Relativité et les theories d' Einstein., Paris 1922., P 86 — 112.

(١) التجربة التي قضت على الأثير ١٩٣١ للقطف ، شارل مالك

مورلى» فتكون سرعة «س١» بالنسبة للجهاز غير سرعة «س٢» بالنسبة له ، لأن هذه الآلة تدور مع الأرض فى دورانها حول محورها ، والشعاعة «س١» متعامدة على السير بينما الشعاعة «س٢» موازية له ؛ فمن هذا الاعتبار ينتج أن سرعة «س٢» بالنسبة لجهاز ميكلصون عند ما تكون الشعاعة «س٢» سائرة نحو «م٢» هى :

صـ — ع ... ... «معادلة ١»

حيث أن «صـ» رمز لسرعة الضوء المنطلقة خلال الأثير ، و «ع» رمز لسرعة الأرض حول محورها . وعند ما تنعكس الشعاعة «س٢» عن «م٢» تصبح سرعتها بالنسبة للجهاز هكذا :

صـ + ع ... ... «معادلة ٢»

أما الشعاعة «س١» فلها نفس السرعة فى سيرها نحو «م٢» لأنها مركبة من سرعتين متعامدتين مثلا ، ولكنها فى ذهابها وإيابها فى كلتا الحالتين ستكون متعامدة على اتجاه سير الآلة أو الجهاز ، وستكون مقدار هذه السرعة :

$\sqrt{صـ^2 + ع^2}$ ... ... «معادلة ٣»

وذلك لأنها مركبة من سرعتين[1] .

على هذا الأساس رتب الدكتور ميكلصون وزميله الأستاذ مورلى جهازهما فى الأوضاع السابق ذكرها ، وأخذا يرقبان الشعاعة «س٢» من النقطة «ى» فارتسم أمامهما نظام متداخل ناجم عن تداخل الشعاعتين فى بعض ، وعند ما أديرت الآلة بكامل أجزائها حول المحور «ح» بحيث أصبحت «م٢ — م١» متعامدة على اتجاه حركة الأرض بعد أن كانت موازية ، واتخذت الشعاعة «م١ — م٢» وضعاً موازياً لحركة الأرض بعد أن كانت متعامدة . فكان المنتظر أن هذا التغيير يسفر عن تغير سرعة الشعاعتين بالنسبة للآلة فى الزمن الذى تستغرقه كل من الشعاعتين فى سيرها من المركز «ح» إلى المرايا العاكسة ورجوعها إلى «ح» ثانية . ومن البديهى أن الزمن الذى تستغرقه الشعاعة «س٢» فى وضعها الجديد أقل من الزمن الذى استغرقته وهى فى وضعها القديم ؛ أعنى أن شعاعة النور فى سيرها فى اتجاه متعامد — بشرط أن تنعكس الشعاعتان وتردا إلى مصدرهما ، وإدارة الجهاز حول محوره تسعون درجة — لا بد وأن تسفر عن ابطاء الشعاعة الواحدة فى رجوعها إلى «ح» واسراع الشعاعة الأخرى فى هذا الرجوع[1] .

هذا الابطاء والاسراع يؤثران فى النظام الداخلى ، إذ تنقص بعض الحلقات وتختفى حلقات الوسط وتبدو حلقات جديدة تتسرب للنظام من طرفه الخارجى . ذلك لأن تباطؤ الموجة الواحدة فى رجوعها يفضى الى تداخل جديد مع حركة الموجة الثانية التى أسرعت فى الرجوع[2] .

ولما كانت سرعة الأرض حول محورها معلومة ، وسرعة النور فى الفضاء الأثيرى معلومة كذلك ، فمن المستطاع قياس الفاصلتين «م — م» و «م — م٢» واستخراج طول موجة النور ، وبذلك يصبح من الممكن حساب التأخير اللازم حدوثه إذا ما أديرت الآلة ومقدار التغير اللازم طروؤه على عدد الحلقات من تقلص واحتجاب

على مثل هذا الأساس العلمى الدقيق أجريت تجربة ميكلصون ، ولكنها أسفرت عن نتيجة سلبية إذ لم تتغير الحلقات ووصلت الشعاعتان معاً . ثم أعيدت التجربة مع الدقة الشديدة ولكن لم تسفر عن نتيجة[3]

(بقية البحث فى العدد القادم) اسماعيل أحمد أدهم

(1): A. A. Michelson and E. W. Morley: The American Journal of Science and arts, Mew-Haven 31 (1886) P. 337., and (3) 22 (1681) p. 120.

(1): A. A. Michelson an. E. W. Morley: Philosophical Magazine of London., Edinburgh and Dublin. (5) 24. (1887) p. 449.

(2): M. Fitzgerald: Annalen der Pluysik, Leipzig. (4) 1907 p. 137.

(٣) اعتمدنا فى الكتابة عن تجربة ميكلصون إلى حد كبير على نص ماكتبه الأستاذ شارل مالك فى مقتطف اكتوبر ١٩٣١ تحت عنوان «التجربة التى قضت على الأثير» وقد اعتمدنا على هذا النص العربى لدقته

مجموعات الرسالة

ثمن مجموعة السنة الأولى مجلدة ٥٠ قرشاً عدا أجرة البريد
ثمن مجموعة السنة الثانية (فى مجلدين) ٧٠ قرشاً عدا أجرة البريد
وأجرة البريد عن كل مجلد للخارج ١٥ قرشاً

أندلسيات :

٣ ـ قصة الفتح بن خاقان

للاستاذ عبد الرحمن البرقوقي

أغراض الفتح

نقول إن ابن بسام كان أعفّ لسانا ، وأنزه بيانا . أما الفتح ابن خاقان فقد كان مقذعا هجاء الى أنه كان مداحا فصالا[1] ، فمن أرضاه وألهاه ، مدحه وفتح لهاه ؛ ومن لا يرضخ له من ماله بما يرضيه ، هجاه وأقذع وولغ فيه . وربما دسّ له لدى أولى الأمر وضرّاهم عليه . ومن ذلك ما كان منه مع فيلسوف الأندلس أبي بكر بن الصائغ وطبيبها الأكبر أبي العلاء بن زهر كما سيمر بك قريبا ... وقد كان مع ذلك سكيراً معربدا الى هنوات أخرى لقد يندى لها جبين الأدب ، وقعدت به عن بلوغ المراتب التي بلغها أمثاله ومن هو دونه . قال الوزير لسان الدين بن الخطيب في حق الفتح : كان آية من آيات البلاغة لا يُشَقّ غباره ، ولا يدرك شأوه ، عذب الألفاظ ناصعها ، أصيل المعاني وثيقها ، لعوبا بأطراف الكلام ، معجزا في باب الحلى والصفات ، إلا أنه كان مجازفا مقدوراً عليه[2] ، لا يملّ من المعاقرة والقصف حتى هان قدره ، وابتذلت نفسه ، وساء ذكره ، ولم يدع بلدا من بلاد الأندلس إلا دخله مسترفداً أميره . واغلا في عليته[3] ... وقال ابن بشكوال في الصلة : وكان ـ الفتح ـ معاصرا للكاتب أبي عبدالله بن أبي الخصال ، إلا أن بطالته أخلدت به عن مرتبته . وجاء في النفح أن الفتح قصد يوما الى مجلس قضاء أبي الفضل عياض ـ صاحب الشفاء ـ مخمّرا ، فتنسم بعض حاضري المجلس رائحة الخمر ، فأعلم القاضي بذلك ، فاستشاط وحدّه حداً تاما .

(١) هو الذي يمدح الناس ليعطوه

(٢) المجازفة المخاطرة يقال جازف بنفسه إذا خاطر بها يرجع الى الساهلة كأنه ساهل بها وهو مجاز ومما استدركه الزبيدي شارح القاموس . ولعل ابن الخطيب يريد أن الفتح كان مستهترا جريئا على فعل ما لا يليق بمثله . ومقدورا عليه يريد ـ لعله ـ أنه ضعيف الارادة لا يقدر على ضبط نفسه

(٣) في عليته أي في قصره وداره فيكون الضمير للأمير ، أو في سروات وإشرافه فيكون الضمير الى البلد

وبعث اليه بعد أن أقام عليه الحد بثمانية دنانير وعمامة ... فقال الفتح حينئذ لبعض من أصحابه : عزمت على إسقاط القاضي أبي الفضل من كتابي الموسوم بقلائد العقيان ، قال : فقلت له : لا تفعل ، وهي نصيحة ، فقال : وكيف ذلك ؟ فقلت له : قصتك معه من الجائز أن تنسى وأنت تريد أن تتركها مؤرخة ، إذ كل من ينظر في كتابك يجدك قد ذكرت فيه من هو مثله ودونه في العلم والصيت ، فيسأل عن ذلك فيقال له ، فيتوارث العلمَ عن الأكابرِ الأصاغرُ ؛ قال : فتبين ذلك وعلم صحته وأقرّ اسمه في (القلائد)

ولقد أزلفنا أنه هجا الفيلسوف ابن الصائغ وأقذع في ترجمته له في القلائد ، ثم مدحه وأثنى عليه في المطمح ؛ وقد حدثنا الوزير لسان الدين بن الخطيب عن سبب هجائه إياه أولا ، قال : وحدثني بعض الشيوخ أن سبب حقده على ابن باجه أبي بكر آخر فلاسفة الاسلام بجزيرة الأندلس ما كان من إزرائه به في تكذيبه إياه في مجلس اقرائه إذ جعل يكثر ذكر ما وصله به أمراء الأندلس ، ووصف حليا ، ـ وكان يبدو من أنفه فضلة خضراء اللون ، فقال له : فمن تلك الجواهر إذن الزُبَرّدة التي على شاربك ... فثلبه في كتابه بما هو معروف ...

أما مدحه إياه بعد إذ هجاه فقد ذكر لنا العماد أن ذلك كان منه بعد أن أنفذ إليه مالا استكفّه به واستصلحه . . . وإليك نُتَفاً مما كتبه في القلائد هاجيا ، ثم مما كتبه في المطمح مادحا : قال في القلائد : « هو ـ أي ابن الصائغ ـ رَمَد عين الدين ، وكمد نفوس المهتدين ، اشتهر سخفا وجنونا ، وهجر مفروضا ومسنونا ، فما يتشرع ، ولا يأخذ في غير الأضاليل ولا يشرع ، ناهيك من رجل ما تطهّر من جنابة ، ولا أظهر مخيلة إنابة ، ولا استنجى من حدث ، ولا أشجى نؤاده بتسوار في جدث ، ولا أقرّ بسارئه ومصوّره ، ولا قرّ بتباريه في ميدان تهوره ، الاساءة اليه أجدى من الاحسان ، والبهيمة عنده أهدى من الانسان ، نظر في تلك التعاليم ، وفكر في أجرام الأفلاك وجدود الأقاليم ، ورفض كتاب الله الحكيم العليم . الخ الخ[1] » . وقد أورد له متعمداً أبياتا ليست من جيد شعره . وأين هذا من تحليته له

(١) راجع قلائد العقيان

فى المطمح بقوله فيه ماهذا بعضه : « نور فهم ساطع ، وبرهان علم لكل حجة قاطع ، تتوّجت بمصره الأعصار ، وتأرجت من طيب ذكره الأمصار ، وقام وزن المعارف واعتدل ، ومال للأفهام فتنا وتهدّل ، إذا قدح زند فهمه أورى بشرر للجهل محرق ، وإن طما بحر خاطره فهو لكل شيء مغرق ، مع نزاهة النفس وصونها ، وبعد الفساد من كونها ، والتحقيق الذى هو للإيمان شقيق ، والجد ، الذى يخلق العمر وهو مستجد ، وله أدب يود عطارد أن يلتحفه ، ومذهب يتمنى الشترى أن يعرفه ، ونظم تعشقه الليات والنحور ، وتدعيه مع نفاسة جوهرها البحور ، الخ الخ » . وأورد له شعرا جيدا . وكل أولئك تراه فى ترجمتنا لهذا الفيلسوف الأندلسى العظيم . . . أما ما كان من الفتح من الكيد للفيلسوف الكبير والطبيب النطاسى الأشهر والوزير الخطير أبى العلاء زهر لدى أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين ، فقد جاء فى نفح الطيب ما نصه : « وكان بينه — أى بين أبى العلاء زهر — وبين الفتح صاحب القلائد عداوة ، . ولذلك كتب فى شأنه إلى أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين ما صورته :

أطال الله بقاء الأمير الأجل سامعا للنداء ، رافعا للتطاول والاعتداء ، لم ينظم الله الملك بلبتك عقدا ، وجعل لك حلا للامور وعقدا . وأوطأ لك عقبا ، وأسار من الناس لعونك منتظرا ومرتقبا ، الا أن تكون للبرية حائطا ، وللعدل فيهم باسطا ، حتى لا يكون منهم من يضام ، ولا ينال أحدهم اهتضام ، ولتقصر يد كل معتد فى الطلام . وهذا ابن زهر الذى أجريته رسنا ، وأوضحت له الى الاستطالة سننا ، لم يتعد من الأضرار إلا حيث اشتهيته ، ولا تعادى على غيه إلا حين لم تنهه أو ألهيته ، ولما علم أنك لا تنكر عليه نكرا ، ولا تغير له متى ما مكر فى عباد الله مكرا ، جرى فى ميدان الأذية بملء عنانه ، ومرى إلى ماشاء بمدوانه ، ولم يراقب الذى خلقه ، وأمد فى الخطوة عندك طلقه ، وأنت بذلك مرتهن عند الله لأنه مكنك لئلا يتمكن الجور ، ولتسكن بك الفلاة والغور ، فكيف أرسلت زمامه حتى جرى من الباطل فى كل طريق ، وأخفق به كل فريق ، وقد علمت أن خالقك الباطش الشديد يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وما تحفى عليه نجواك ، ولا يستتر عنه تقلبك ومثواك ، وستقف بين يدى عدل حاكم ، يأخذ بيد كل مظلوم من ظالم ، قد علم كل قضية قضاها ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فيم تحتج منى لديه ، إذا وقفت أنا وأنت بين يديه ؟ أترى ابن زهر منجيك فى هذا المقام ، أو يحميك من الانتقام ، قد أوضحت لك المحجة ، لتقوم عليك الحجة ، والله النصير ، وهو بكل خلق بصير ، لا رب غيره والسلام ... هذا جانب من خلائق الفتح : تحوّل وتقلّب ، ونقض لما أبرم ، وإبرام لما نقض ، وهجاء ثم مدح ، ومدح ثم هجاء ، ومناوأة للفلاسفة ، واستعداء للملوك والأمراء عليهم ، الى ما أشرنا اليه آنفاً من خلعه العذار واستهتاره ، وإدمانه المعاقرة وفسوقه ، حتى كان ذلك سبباً — كما يقول المؤرخون — فى تخلفه عن لداته وقعوده عن بلوغ عليا الرتب التى بلغوها . ومن هنا كان حبه المال حبا نال من كرامته ونقص من قيمته . وصيته شهرة لدى العلماء والأمراء وسائر العلية والسروات . ومما يؤخذ عليه أيضا غروره واعتداده بنفسه إلى أقصى حد ؛ ولا أدل على ذلك من قوله فى خطبة قلائده : « الحمد لله الذى راض لنا البيان حتى انقاد فى أعنتنا ، وشاد مثواه فى أجنتنا ، وذلل لنا من الفصاحة ما تصعب فلكناه ، وأوضح لنا من مشكلاتها ما تشعب فسلكناه ، فصار لنا الكلام عبدا يجيب إذا ناديناه ، ومهما يصيب الغرض إذا رميناه »

وبعد فقد كان هذا الأديب الألمعى الموهوب من أولئك الأدباء الذين أدركهم داء الانحطاط ، ومثله كثير بين أدباء العرب والعجم والمشرق والمغرب قديما وحديثا ... وهذا الصنف من الأدباء والفنانين جدير بالرحمة والرثاء ، لأن عبقريتهم هى سر انحطاطهم ، إذ العبقرية فى الحق شعبة من الجنون كما شرح ذلك لمبروزو وماكس نوردو وغيرهما . وقد كان انحطاط هذا الأديب سببا فى قتله ... وفى أنفة مؤرخ كبير وأديب نابغ هو ابن الأبار القضاعى من ترجمته والتعرض لذكره ، فقد قال هذا ابن الأبار فى معجم أصحاب الصدفى : « إنه لم يكن مرضيا وحذفه أولى من إثباته . ولذا لم يذكره فى التكملة . أما قتله فقد قال ابن سعيد فى المغرب — بعد كلام — مانصه : « وقد رماه الله تعالى بما رمى به إمام علماء الأندلس أبا بكر ابن باجّه ، فوجد فى فندق بحضرة مراكش قد ذبحه عبد أسود خلا معه بما اشتهر عنه وتركه مقتولا ... ... » ... وقال ابن دحية إنه قتل ذبحا باشارة على بن يوسف بن تاشفين ...

(يتبع) عبد الرحمن البرقوقى

٦ ـ معركة عدوى

للأستاذ الفريق طه باشا الهاشمي

رئيس أركان حرب الجيش العراقي

كانت القوة كلها مؤلفة من أربعة أفواج وسرية خيالة وبطرية جبلية.. وكان في كل سرية مشاة يبلغ عددها (٢٠٠) جندي، أربعة طليان وهم رئيس وملازمان وضابط صف. أما الملازمان الآخران فمن الأهلين. ونظراً الى التنسيق الجديد بلغت القوة في المستعمرة ما يلي :

١٧١	ضابطاً طليانياً
١٤٠٠	جندي طليانى
٣٧	ضابطاً أهلياً
٤٤٠٠	جندي أهلي
٦٫٠٠٨	المجموع

وفي سنة ١٨٩٥ أحدث الحاكم العام الجنرال « باراتيري » احتياطاً من الجنود المسرحين يتألف من ثماني سرايا تبلغ قوتها ١٧٠٠ جندي

وأطلق الطليان على الجندي الأهلي اسم « عسكري »

ولما توترت العلاقات أنجد الطليان جيش المستعمرة بقوات أخرى جلبوها من إيطاليا. وفي الشهر الأخير من سنة ١٨٩٥ بلغت النجدة أربعة أفواج قوة كل منها ٦٠ جنديا. ثم جعلوا القوة الأهلية ثمانية أفواج بعد أن كانت أربعة أفواج. وزادوا قوة السرية فيها من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ جندي، وهكذا بلغت قوة الجيش ١٤٫٠٠٠، منها ٢٫٨٠٠ جندي طليانى

وباضافة قوة الاحتياط إلى ذلك أصبحت قوة الجيش ١٨٫٠٠٠ جندي، وفي معركة عدوى كانت قوة الجيش كما يلي :

(ا) لواء الجنرال « البرتونة » وكان مؤلفاً من أربعة أفواج أهلية وبطريتين طليانيتين وبطرية أهلية

(ب) لواء الجنرال « دابورميدا » وكان مؤلفاً من ستة أفواج طليانية وفوج أهلي وأربع بطريات طليانية

(حـ) لواء الجنرال « اريموندي » وكان مؤلفا من خمسة أفواج طليانية وسريتين أهليتين وبطريتين طليانيتين

(د) لواء الجنرال « اللانا » وكان مؤلفاً من ستة أفواج طليانية وفوج أهلي وبطريتين طليانيتين سريعتي الرمي وسرية هندسة

فالجيش كان مؤلفاً من ثلاثة وعشرين فوجا، وسريتي مشاة، واثنتي عشرة بطرية، وسريتي هندسة؛ وكان مجموع القوة :

٥١٠ ضباط، و١٢٫٤١١ جنديا إيطاليا، و٧٫٣٣٠ جنديا أهلياً و٦٤ مدفعاً، ومجموع رجاله ٢٠٫٢٥١ رجلا، وهكذا يصيب كل ألف جندي ٣١١ مدفعاً، وكانت هذه النسبة جيدة في ذلك الزمن

أسلوب التعبئة الطليانية

كانت كتب التعليم الطليانية شائعة في جيش المستعمرة، إلا أن بعض أحكامها عدل نظراً الى حالة العدو. وكان بعض هذا التعديل، الحركة في ميدان المعركة بالنظام المنظم، والانتشار بصف واحد، على أن يكون الجنود متجانبين دون فرجات

وظهر من حركات البريطانيين على الهدى أن هذا الأسلوب لا يفي بالمرام تجاه صولة الأحباش الذين يظهرون شجاعة فائقة في حملاتهم، فاستفادت القيادة الطليانية من حركات البريطانيين وقررت أن تترك قدمات احتياط في الخلف لتنجد الخط الأول عند الحاجة أو لتكون متأهبة للطوارئ. إلا أن الضباط

لم يتعودوا هذا الأسلوب تماما لما وقعت معركة عدوى ، ولاسيما أنهم كانوا قد تدربوا على أساس التعبئة الأوربيـة قبل مجيئهم الى المستعمرة

ليس من السهل دخول القتال فى مستعمرة بعيدة عن الوطن ما لم تنظم أمور السوقيات ؛ والظاهر من تدابير الطليان أنهم لم يضعوا خطة ناجحة لشؤون النقلية ولم يمهروا فيها ، فاتخذوا الميناء « مصوع » قاعدة للحركات وأرسلوا اليها القطعات والتجهيزات على التعاقب دون ترتيب . فكانت التجهيزات ومواد الاعاشة تكدس هنا وهناك بصورة يصعب نقلها من الميناء إلى الداخل

والأغرب من كل ذلك أن الحكومة الطليانية كانت ترغب فى إدارة رحى الحرب دون انفاق المال . ولما طلب الجنرال بارانيرى المال أجابه رئيس الحكومة « كريسبى » بأن نابليون الأول كان يحارب حروبه بمال العدو ؛ قال هذا ناسياً أن الساحة التى يتحرك الجيش فيها هى أرض قفراء لا ماء ولا أقوات كافية فيها

الشروع فى القتال

توترت العلاقات فى مايو ١٨٩٤ . وفى آخر شهر من هذه السنة ظهرت علائم التمرد فى جنوبى أسمره . وكان المحرض على ذلك رأس تيجرى « منيلسيا » ، ولما سمع الطليان أنه يجمع الجنود طلبوا منه تسريحهم فلم يجب طلبهم

وعلى أثر ذلك تقدمت القوة السفرية المكلفة بستر أسمرة ومصوع بقيادة الجنرال « بارانيرى » الى شمالى نهر مارب وعسكرت هناك

وفى ١٣ يناير ١٨٩٥ عبر « منيلسيا » نهر بلزة فتقدم الجنرال نحوه ونشبت المعركة فى كوانيت . ورتب بارانيرى ثلثى قوته مع البطرية الجبلية فى الخط الأول ، وترك باقى القوة فى الخط الثانى لحماية جانبه الأيسر

وكان الأحباش يسعون للالتفاف حول هذا الجانب إلا أن إرسال الوحدات الأهلية للنجدة ، وثبات الطليان فى الجبهة ، واشتراك جميع القوات فى القتال على التدريج مما ساعد بارانيرى على الاحتفاظ بموقفه ، وتوقف القتال بعـد الظهر واستمرت المناوشات الخفيفة الى المساء وانسحب الأحباش ليلا

وشرعت القوات الطليانية فى المطاردة فى ١٥ يناير ١٨٩٥ وتقدمت طول النهار ولحقت بالأحباش فى سنافة . وبعد اطلاق بضع طلقات انسحب الأحباش ، وتقـدم الطليان على طريق الهضبة دون أن يضطروا الى عبور الأنهار ، ودخلوا ادجرات فى ٢٥ أبريل ١٨٩٥ . وفى شهر مايو بدأ موسم الأمطار الغزيرة فتوقفت الحركات

أما الأحباش فأخذوا يجمعون قواتهم لمقاتلة الطليان ، وكانوا يأملون أن يتم الحشد فى الخريف ، فشرع الأحباش فى الهجوم على الطليان لاخراجهم من البلاد . أما الطليان فأنجزوا تحكيم موقع ادجرات فى شهر يونيو . والموقع كما نعلم يرتفع عن سطح البحر ٢٥٤٥ مترا وهو صالح لاقامة الأوربيين من حيث الهواء . وهو أيضا موقع خطير فى حد ذاته . ففيه تلتقى الطرق الممتدة إلى مقاطعة شوعا ومقاطعة أمحرة ، فضلا عن كونه واقعا فى نقطة ملتقى الجبال ، ومنه تتشعب سلسلة عدوى التى تفصل حوض « تكاه » وتوابعه عن حوض « مارب » وتوابعه

وقرية عدوى عاصمة المقاطعة ، وعلى مسافة خمسة وعشرين كيلومترا منها تقع أكسوم العاصمة الدينية ، حيث يتوج عواهل الحبشة . واحتل الطليان عدوى أيضا فى شهر أبريل ، وبذلك استولوا على خط (ادجرات ـ عدوى) فسيطروا على المسالك المؤدية اليه ، وجعلوا حوضى النهرين تحت نفوذهم

واستمروا على التقدم من ادجرات سالكين المرتفعات التى تفصل بين أحواض الماء ، ودخلوا قصبة « مكلة » أيضاً وحكموها

وعلى هذا الأسلوب تحركوا بحذر وشيدوا القلاع على طول الخط بمراحـــل ٣ الى ٥ أيام . وكان من الضرورى الاهتمام بالمواصلات التى تربط هـذه القلاع بالساحل . ولا شك فى أن توسيع دائرة احتلالهم على هذه الصورة جعلهم ضعفاء فى كل محل ، لأن القوة لم تكن تكفى لحراسة خطوط المواصلات ، والدفاع عن هذه القلاع وتهيئة قوة سيارة تتحرك عند الحاجة لضرب الأحباش ، لأن القوة لم تزد حينئذ على ١٨٫٠٠٠ رجل . أما الخط الذى انتشرت عليه القوة فيبدأ من « كسلا » ويمر بخط « كون ـ اسمره ـ ادجرات » وينتهى فى « مكلة » . وكانت الأخبار تؤيد تأهب الأحباش للمعركة الفاصلة . ولم يكتف الطليان

بنشر قواتهم على ذلك الخط الطويل بل أوفدوا قوة ستر مؤلفة من فوج أهلى وفصيلة مدفعية الى جنوبى « مكلة » فى مرحلتين الى (امبا ـ الاغى)

وفى نهاية السنة هاجم الأحباش هذا الموقع فدافعت القوة دفاعا مستميتاً ، ولم يتلق آمرها أمر الانسحاب إلا متأخراً بعد أن قضى الأحباش على قوته وغنموا مدفعيته ، بينما كان الموقف يتطلب أن يبلغ هـذا الآمر واجبه الأصلى وهو الدفاع الرجعى دون دخول قتال فاصل

وكانت القوة الحبشية مؤلفـة من ٣٠٫٠٠٠ رجل يقودها الرأس « ماكونين » والد الرأس « تفرى »

وكان الجنرال « اريمونذى » بكوكبه (بقسمه الأكبر) فى مكلة ، ولما تيقن أن الأحباش سوف يهاجمونه وأنه لا يستطيع الدفاع أمامهم قرر الانسحاب ، فانسحب بسرعة الى « اداجاموس » ثم إلى « ادجرات » وترك فى مكلة فوجاً أهلياً مع مدفع جبلى فقط

أما النجاشى منليك فكان مهتما بجمع الجيش ليملى إرادته على الطليان ويهيىء سبيل الخلاص لبلاده . وبعد أن جمع المال المطلوب من مقاطعة التالا ، وأنجد جيشه بخيالة التالا ، وصل إلى ادجس أبابا وأعلن إلى الجميع أن الحبشة لا تحتاج إلى أحد بل عديدها إلى الله ، فتولى قيادة جيشه بنفسه وجمع جميع الرؤوس فى « روميدا » وصرح لهم ولجميع المشايخ والأشراف برغبته فى طرد الطليان من البلاد وانقاذها من مخالب الاستعمار . فوافقه الرؤوس على ذلك بالاجماع ، وكان المشهد مما يثير الحماسة فى الصدور ، وكانت قوة الجيش الحبشى مع قوة جيش « ماكونين » تبلغ ١٦٠٫٠٠٠ رجل . فحاصر ماكونين قلعة مكلة وأخذ يدكها بنار مدافعه ، وقطع عليها طرق الماء . فاضطرها إلى التسليم فى ٢٥ ديسمبر ١٨٩٦ ووافق النجاشى على عودة الأسرى الطليان الى بلادهم لينشروا الرعب فى قلوب الطليان الآخرين

ولما انتشرت أخبار انتصار الأحباش فى المستعمرة ساد القلق والرعب فى قلوب الناس ، وفكر الطليان فى الدفاع عن ميناء مصوع أيضاً . وقررت القيادة حشد جميع القوات فى ادجرات لصد تقدم الأحباش ما عدا الحاميتين اللتين فى كرن وكسلا ، وكانت قوة الحامية منها مؤلفة من فوج وسرية خيالة وفصيل مدفعية

(يتبع) طه الهاشمى

مؤتمر القلوب

للأستاذ السيد محمد زيادة

سألت نفسى بعد تأمل وتفكير : « ماذا يكون لو أمكن كلَّ إنسان أن ينكمش حتى يختفى فى قلبه ، وأمكن قلبه أن يتسع حتى يحويه ؛ فيظهر للناس عارياً لا يكسوه إلا الشفاف ، ويصبح الشخصُ المنطوى على قلب قلباً منطوياً على شخص ، وتمشى القلوب وتتنقل ، وتدب حيث تحب ؟ أتنكشف السرائر ، وتسفر الخفايا ، وتباح الأسرار ؛ ويستطيع كل قلب أن يعرف ما له عند الآخر بغير حاجة الى رسول بينهما قد يصدق وقد يكذب ، ويتبين المرء ما يكنُّه له حبيبه أو صديقه خاليا من الزيف والرياء ؟ »

وكان سؤالا غريبا جديدا ، فحيرنى الجواب عليه ؛ ثم رأيتنى فى الرؤيا أجرب هذا ... فانقبضتْ أطراف الى بدنى ، وانحصر بدنى فى قلبى ، فأصبحت قلبا ومضيت لشؤونى فى الحياة ؛ ووجدتنى مقبلا عليها بتلهف وشوق كما يقبل على الحرية سجين أطلقوه . فهو يندفع اليها بقوة ، ويتقلب على رحبها بشغف ، كأنه يريد أن يجتنى فيها فيملأها . وهى تتلقاه هاشة باشة ، وتتفتح له حيث اتجه ، وكأنها تريد أن تمتزج بها فيصير منها

ثم وجدتنى هنا وهناك طلقاً موزعا متحيرا لا أستقر ، ولا أعرف كيف أستقر ، ولا أفهم معنى الاستقرار . وزعمت أننى لم أوجد فى الحياة الا لأتحسس الجمال وأتلمس الحب ، وخيَّل إلى وهمى أن الجمال فى كل لحظة يناديني ، وأن الحب فى كل بقعة ينتظرنى ؛ فجننتُ بالجمال والحب ، وحلقتُ فى سمائهما بأجنحة الخيال حتى كدت أتحطم أو تحطمتُ . . بين شقاء يجرنى اليه الهجر ، وشقاء يجرنى اليه الوصال

ورأيت العيون من حولى تلهمنى بنظرات هى التعجب والاستغراب ، وكأنها تتخاطب قائلة : « ما لهذا القلب لا يهدأ ؟ » حتى كادت تشعرنى بأننى وحدى أسفق للجمال وأخفق بالحب . ولكنى لم أحفل بالنظرات ولم أهب العيون ، وسرت فى طريقى كما أنا قلباً مهوماً شديد الخفقان

ثم رأيتنى مدعوًّا إلى مؤتمر دعيتْ اليه القلوب جميعا ؛

ففرحتُ بهـذه الدعوة ونشطت إلى الائتمار . وتوافدنا نحن القلوب يسابق بعضنا بعضا ، ويحمل كل منا فى أعماقه ما يحمل

* * *

فهـذا قلب صاف لا رنق فيه ولا غبار عليه ؛ وهذا قلب درنٌ غلب على بعضه الدرنُ وغلب على بعضه النقاء ؛ وهذا قلب أسخمُ لم يبق فيه أثر لطبيعته ؛ وهـذا قلب كبير ؛ وهذا قلب صغير

ووقفتُ أرنو إلى ذلك الحشد الحافل وأستمتع بما فيه من مشاهدَ غريبة كانت محجوبة عنى أو كنتُ محجوباً عنها ؛ وأخذ كلُّ قلب يتطلع إلى القلوب حوله ، ويستمتع استمتاعى وكأنه يحس ما أحسه من دَهَش يصحبه فرح ، ومن رَهَب تصحبه لذة

ورأيتُ على بعد غير سحيق من مكانى قلبا تقلص أديمُه ، وشاه مظهرُه ؛ فدلَّنا على باطن غاسق كالليل ؛ والقلوب كلها نافرة منه صادفة عنه ، كأنه قتاد يشوك من يقربه ، أو مخلوق وحشى يلتهم من يلمسه . وهو فى مكانه يوزع عليها نظرات متمعضة ساخطة ملأى بالتمرد والتوعد . فسألتُ : « ماهذا القلب لا يجد منا صاحبا ولا نجد فيه أهلاً للصحبة ؟ » فقالوا : هـذا قلب رجل لا يعيش إلا ليبثَّ الفساد بين قلوب عارفيه ، ولا يستريح حتى يشى بين صـديقين متفقين ، أو يمكر ما بين حبيبين ناعمين ، أو يسىء إلى أحدٍ ما . فتراه يبتسم لهـذا ، ويداعب ذاك ، ويوسوس إلى ذلك ؛ حاسباً أن فى ابتسامته ودعابته ورياءه ستاراً لحقده وخبثه وخسته ؛ ولـكن هيهات . . فـكلنا يعرف ما فى جوفه ، وكلنا يحتقره وينبذه ويلعنه ، وكلنا يود الآن لو يسحقه فيريح الوجود من وجوده

ورأيت فى ناحية أخرى قلبا شفَّ لونه ، وأضاءت سحنته ، فدلَّتنا على دخيلة بيضاء كالشمس ، والقلوب كلها — إلا ذلك القلب الذاكن وأمثاله — متهافتة عليه ، متوددة اليه ، تصافحه وتحييه ؛ فيصافحها ويلاقيها بتحيات زكيات ملأى بالبر والقناعة — فسألت : « ما لهذا القلب لا يجد منا قاليا ولا نجد منه داعيا للقلى ؟ » فقالوا : « هذا قلب رجل تقى كريم يعرف الله ويخشاه ، نصب نفسه لهداية الناس ، وقضى أيامه يجاهد الرذيلة ليحيى الفضيلة ، ويكره الشر ، ويحب الخير . فطالما سعى ليوفق بين صديقين مختلفين ، أو يصلح ما بين حبيبين ناعمين ، أو يحسن إلى أحدٍ ما ؛ فتراه يرشد هذا ، ويعلم ذاك ، وينتزع النواية من ذلك ، صادقا فى كل ما قال وكل ما فعل ، مصلحاً أينما حل . فكلنا يعرف فضله ويقدره ويحترمه ويود لو يرفعه فيجعله فى السماء

ولفتَ بصرى قلبٌ غلا دمه ، وتصاعد البخار من فتحاته ، وكاد ينـدلع اللهب من جنباته ؛ حتى خلتُه ثَوراً تنصهر فيه جدرانُه جزءاً جزءاً ، ويشتد أزيزه كلما استعر جوفه . يروح ويغدو بين القـلوب هائجاً كالمشرّد ، حائراً كالضال ، لا تفتر قواه ولا ينقطع خفوقه . فتساءلنا عما به فوجدناه قلب محب فارقه حبيبه فبرّح به الشوق ، وأضناه الألم ؛ فهو ظمآن لهفان يبحث عنه بيننا عله يلقاه فينقع اللقاء غلته ، ويبرد لهفته . فقلت : آه ! ! ما أعظم سلطان الحب . . آمنت بأن فى الحياة قلوباً تحار حيرتى وتكابد ما أكابد

وكان بين القلوب قلبٌ خالٍ كالبيضة إذا أفرختْ ، سافر كالمرأة إذا تهتكتْ ، باهت كالشمس إذا تنقبتْ بالسحاب . فكان أشبه شىء بالاسفنجة ؛ وأعجبنى منظره الفاتر الخالى من كل قرائن الحياة ؛ لأنه شاذ بفتوره وخلوه منها ، وأخذتُ أراقبه مليا لأقف على سره لو كان لمثل هذا القلب سر ؛ فوجدته إمعة يظل ساكنا كالنائم فلا يتحرك حتى يحركه غيره ، ولا يتوجه حتى يوجهه غيره ، ولا يعمل إلا ما يملى عليه غيره

يدنو منه قلب من تلك القلوب السوداء هامساً موسوسا فلا يلبث حتى يسودّ ويتشكل بشكله ، ثم يدنو منه قلب من تلك القلوب البيضاء الناصعة حدثاً مبشراً ، فلا يلبث حتى يبيضّ ويتشكل بشكله ، وهكذا هو فى كل أحواله مقود لا إرادة له ولا صفة

فسألتُ عنه فقيل لى : هـذا قلب شاب ساذج أبله مغرور بنفسه ، مخدوع بغروره ، لم ينكبه الدهر ، ولم تكرثه العوادى ، فعاش كما تراه سليما من الشر ومن الخير ، بعيداً عن الحزن وعن الفرح ، وحسب أنه عاش كذلك برغبته وقدرته ، وأنه استطاع أن يهزأ بالأحداث لأنه فوق متناولها ؛ ولم يعرف أن الله خلقه ضعيفاً فأنكره الدهر ، وهزأت بوجوده الأحداث

ووقع بصرى على قلب تراه واقفاً فلا تحسبه واقفاً لنأبه على القلق والتوثب ، ولا تفهم من خفقاته المتواصل معنى خفقان القلوب . وإنما تفهم معنى الجبروت والصولة والعربدة ! ! ينظر

الينا شزرا ويتطلع إلى محيطنا باستخفاف ؛ ثم يصرف عنا بصره ويتطلع إلى أبعد من محيطنا باستخفاف ؛ كأنه لا يشعر بنا وكأنه يعتبر الكون أضيق من أن يسع قوته وعظمته ، فلا يروح ولا يغدو إلا في تيه وخيلاء ، ولا يقف إلا وقفة المتمرد المتحفز ، وهو مع هذا أبكم ، أصم ، أعمى ، كافر ، لا يؤمن بالرحمة ، قاس لا يعرف الآلام ؛ فهو أشبه شيء بكرة من الحديد

قلت : قلب من هذا القلب القوى المتكبر ؟ قالوا : قلب رجل شجاع جبار لا يهاب الصعاب ، ولا يرضى الاستكانة ، ولا يعرف التسامح ، مفطور على الكبر والعظمة واستصغار الكبائر ؛ واستضعاف الأقوياء ، واستعباد الضعفاء . فهو يعتقد أنه مخلوق للغلبة والانتصار

* * *

ونظرتُ على يميني فرأيت قلبا استحق مني أن أطيل النظر اليه لما هو فيه من هم وكآبة ، وقطعت فترة طويلة من الوقت شاخصاً إليه ، متأملاً مشفقاً وأنا أحس أنه بائس وأن بيني وبينه صلة من البؤس مهما يكن بؤسُه ثم مات اليه وسألته : ماذا بك أيها القلب الحزين الباكي ، ومالي أراك ساكنا ساكنا ... تبدو في سكونك كاليائس المقشعر من يأسه ، وكأن بك تستكثر على نفسك أن تعيش لأنك يرم بالعيش ! ! إنك منا ولكنك غريب عنا ؛ لا تخالطنا كما تتخالط ولا تحادثنا كما نتحادث ؛ فما رأيتك منذ رأيتك إلا زافراً تكبت الزفرات ، أو مستعبراً تخبأ العبرات ، وأحسب أنك نكبتَ في حب فمشت في ذكرياته ، وأن تلك الذكريات التي وصلتْ ما بينك وبين الماضي قطعت ما بينك وبين الحاضر : فماذا بك ، وقلب من أنت ؟

فانتفخ ، ثم صعدت من فوهته زفرة ملتهبة ، ثم صمت قليلا ، ثم رنا إليّ طويلا ، ثم قال : دعني لمأساتي فالقلب لا يحرق إلا من ألقى فيه

قلت : ولكني أريد أن أعرف مأساتك ؛ فعسى أن أعينك أو أواسيك أو أوجع لك

فصعدت من فوهته زفرة أخرى وقال : أواه ... هذا شعور جديد في الحياة أو جديد في حياتي أنا فقط ، وهذه كلمات لم أسمع مثلها منذ حين . فيالك من قلب طيب !

إن مأساتي هي أنني بحياتي مأساة في الحياة !! لقد كنت محبا واليوم قد مات الحب ، بل أنا محب ؛ كنت هانئا ، واليوم قدمات الهناء ... بالأمس كنت قلب فتاة عذراء مؤمنة ، واليوم أنا قلب امرأة متخالعة متهاجنة ... امرأة مومس أقدمت على الدعارة مكرهة ، ثم مستسلمة ، ثم راضية ، ... امرأة ساقطة تبيع عرضها في سوق الفجور (الرسمي) كل يوم لكل من يدفع الثمن ...

مسكينة هذه البائسة المجروحة التي تحملني بين حناياها بائساً مجروحا ! ! إنها تحاول كثيراً أن تسكتني وتخفيني ، ولو استطاعت لقطعت ما بيني وبينها من شؤون وصلات ، لتخلو لشؤون وصلات ذلك العالم الداعر الكافر الذي تعيش فيه بين ذئابه الانسانية وهمّاجي البشرية ، وأنا في صدرها ألتاع وأتألم وأبكي وليست لي دموع إلا الدماء أستوردها من بدنها فيهزل قوامها ، وهزال قوامها يذبل شبابها ، وذبول شبابها يضيع جمالها ، وجمالها هو حياتها الفانية التي لا خير فيها

الرجال يحدثونها دائماً عن مواضع الفتنة ومواطنُ اللذات فيها ، فلا تسمع رجلا واحدا يحدثها عن مواطن الحسرة ومدافن الذكريات في أعماق نفسها ، ويسألونها كل يوم عن شهوة بعد شهوة ، ولا يسألونها : أي حزن دخيل ثقيل تحملين ، وكيف تتعذبين ! ! إنها تضاحكهم وتداعبهم ترويحاً لخلاعتها بينما تباكيني وتناجيني تفريجاً لكآبتي ، وهي في ذلك مضطرة إلى التظاهر بأنها امرأة بلا قلب ولا ضمير ، وإلا اتهموها بأنها تحمل قلباً حياً وضميراً مستيقظاً ، وعدوها بذلك خائنة لحرفتها غير حافظة لنعمتها

لقد حبستني وحرّمتْ على أن يسمعني أو يشعر بي أحد ، وما جئت إلى هنا إلا خلسة منها . فهي الآن في أحط أوقاتها بين أحط الرجال

ولكني لا ألومها فأنا الجاني الأول عليها ، ... لقد قادني الحب فقدتها أنا الى معمعة العواطف ، ثم قادتها العواطف المطلقة إلى مغانم الشهوات ، ثم قادتها الشهوات الغزيرة الى مساقط الفساد ، ثم إلى الهاوية التي لامقيل لها منها إلا الموت

وبكى وبكيت له ورحت أواسيه بالقول لأن مأساته أكبر من أن أعالجها بالعمل

(البقية في العدد القادم)

السيد محمد زياده

عويل الدم

[مهداة الى الأستاذ الزيات]

من وحي مقالة : « على هامش الموضوع »

بقلم جورج وغريس

« في يوم مشئوم ، في بلد مجهول ، جرى دم الشهداء على أديم الغبراء ، وظل سحابة يومه شاهد الأرض للسماء ؟ وفي الصباح الباكر مر عابر السبيل ، فألفى الدماء قد استحالت إلى كلمات ، فأخذ يلتقطها يد مرتجفة ويلقيها في سلال حمراء وسوداء ... وهاؤم اقرأوا تلك الكلمات .. .. »

* * *

لقد قالوا للسان اصمت فتكلمنا

نحن القطرات المتساقطة من عيون الفناء ، وحيث سقطنا ستظل الحقيقة قائمة الى الأبد

إنما يعيش الانسان بالدم الذي يجري في عروقه ، فان مات شهيدا عاش الناس بما يلقيه من الدم في عروقهم

لقد كذبت معاجم اللغة في كلمتين : « قعقعة السلاح » وصوابها « قعقعة الدم »

ليس معنى الموت الموت دائماً ، فقد يكون معناه الحياة أحياناً

أليس غريباً أن نهتف للحق مرتين : مرة في حنايا القلب ، ومرة من ثنايا الأرض ؟

لو أننا عدنا إلى حيث أتينا ثم خُيرنا في مصيرنا ما اخترنا غير هذا المصير

لقد فهمنا حاجة الأرض فأطفأنا ما بها من ظمأ . . . .

أيها الثرى الجائع .... لقد أتخمك الشبع !

لقد قالوا لنا عيشوا في معاقلكم فانطلقنا منها أحرارا

لما أحجم القوم تقدمنا ، وحين أطفأ الناس أنوارهم أتينا لهم بالمشاعل

نحن مادة الحياة أينما حللنا ... ... عشنا في القلوب فخفقت ، ولمسنا الأرض فنبضت . .

ليت الانسان يفهم أن للحياة معنى غير الذي دارت عليه أيام الأنعام ، والحياة بغير هذا المعنى لا معنى لها

انصتوا أيها الباكون حولنا واستمعوا ، فان قيثارتنا ترسل أنغامها السحرية

ان تفجرنا من القلوب أو جمدنا في العروق فنهايتنا واحدة : الأرض مثوانا وهي الأم الرءوم

أليست تلك أرض الوطن ... ؟ لقد خالطنا حبها فاختلطنا برغامها وتوغلنا في أعماقها وأضفنا الى تربتها عنصراً جديداً لن يزول إلى الأبد ... ... أليس في كيمياتها « المادة لا تفنى ؟ ... »

للمظالم البشرية سهام مسمومة وللنفس الشريفة دم كريم ... ... إن أصاب ذلك الدم سهم من تلك السهام أبت كرامته أن يعيش إلى جواره فيفلت من مكانه ناقماً عليه ثائراً على عداوته

جبلت نفس الظالم من صخر لا قلب له ولا دم . فهو ينتقم لتلك الطبيعة الناقصة . فان صادف قلبا أرهقه ، وإن لاق دما أهرقه .

لا تقوم في نفس ابن آدم نزعة إلى الشر إلا ويكون مبعثها شيطان فيه . ولا يجيء منه الخير إلا يكون مصدره الانسانية في الانسان . ونحن — وا أسفاه — نتيجة صراع بين النزعتين في نفسين مختلفتين

تضافرت الفضائل فغلبتها التضحية ، وتنافرت الرذائل فجمعتها الأنانية

ياعابر السبيل .. اخلع نعليك ، فان الأرض التي تطؤها مقدسة !

يا عابر السبيل ... نحن غرباء مثلك ، مطاردون مثلك ، وقد أحاطتنا الحياة بهوانها حتى زجرتنا عن محيطها ، وقذفت بنا الى الأرض قطرة حارة وزفرة متأججة تحرق الأديم وتلفح

الوجوه . فان بلغتك أنفاسنا المحترقة نخذ من حرارتها قوة لأنشودتك ، ومن فيض آلامها املأ أنغامك سحرا وجلالا وروعة ... ...

يا عابر السبيل ... ... لا تخش أن يكون سبيلك سبيلنا وطريقك طريقنا ... فانما السبيل للمجد وعر والطريق اليه شائك ، فلا تكتئب أو تحزن فمن وخزات ألمك تعيش الكرامة ، ومن زفرات بكائك يشتق الخلود آيته ...

نحن الورود الحمراء التي سقتها الدموع وأنبتتها الأهوال . ستعيش جذورنا في أعماق الصخرة وتصمد أعوادنا المخضلة في وجه العاصفة ، وتتفتح أكمامنا للأجيال فتملأ النسمات بأريج عاطر ينعش الأنف ويغذي القلب ويثير الفؤاد

لنا في أذن الأجيال همسات ، أسمعوها يا هؤلاء لأولادكم وأحفادكم إن كان لكم ولهم آذان . واكتبوها على شغاف قلوبكم وقلوبهم بحروف من عصارة تلك القلوب . فان كانت دما نقيا رفعكم ورفعهم ، وإن كانت دما مارقا خذلكم وخذلهم

(اسكندرية) جورج وغريس

لجنة التأليف والترجمة والنشر

صدرت الطبعة السادسة من كتاب :

تاريخ الأدب العربي

في جميع عصوره

بقلم الأستاذ

احمد حسن الزيات

وهذه الطبعة تقع في زهاء خمسمائة صفحة من القطع المتوسط ، وتكاد — لما طرأ عليها من الزيادة والتنقيح — تكون مؤلفاً جديدا — الثمن ٢٠ قرشاً ما عدا أجرة البريد

أحلام وذكريات

للآنسة فردوس مصطفى

من مشكاة الطفولة اللاهية الغافلة كان قلبي الخلي يطل على قوافل الحياة فيراها ويحس بها غير ما يراها ويحس بها الآن ، وكان احساسه بها حينذاك احساسا قوى الفطرة جامح النفلة يبهره من قافلة الحياة تناسقها ومظاهرها غير مدرك سرها وجوهرها . وكان يرقبها طوال الأعوام الثلاثة عشر ، حتى إذا ما تحول إحساسه بها الى بعض ادراكه لها نشأ عن هذا الادراك الحسي شعور جديد دفع به إلى السير مع القافلة ، فاندمج فيها ولم يعد يراها ، ولكنه بدأ يعرف سرها ويدرك مداها . وعندما أذكر أحلام الأعوام الثلاثة عشر ، وقد كانت كلها أحلاما ، أشعر بالماضي يجذبني نحوه وبالحنين يعاودني اليه ؛ فأحلام الصغار وأمانيهم أسباب تصل ما بينهم وبين الحياة بسبائك من الذهب ، ولأحلام الكبار وأمانيهم أسباب تصل ما بينهم وبين الحياة بحبائل من النصب ، وياشد ما يهفو القلب الى القفزات المرحة في رحبة المدرسة ، والى تلك الدمى المتراصة في الدار من مختلف اللعب ، والى فساتين الأعياد الزاهية الألوان ؛ كل ذلك له أثر في القلب ، لأنه بدء علوقه وأول صبابته . فلما شب عن طوقه وبارح مشكاته أصبحت له صبابات غير تلك الصبابات ، وأماني وأحلام غير تلك الأماني والأحلام ، بذل فيها من دمه ونعيمه الشيء الكثير ، فثار على الحياة يثأر لدمه الغالي ونعيمه الذاهب ؛ وللقلب حين يثور فلسفة يختار في غاياتها العقل ؛ وللقلب حين يثور أفانين يقصر عن إدراكها الفكر ، ولكنها فلسفات وأفانين هي أقرب الى السماء منها الى الأرض ؛ تمدجه في الروح الخالص فلا يشعر بما على الأرض من مادة طاغية ، ولا يحس من بهرج الحياة وظاهرها بسعادة خاوية . فهناؤه فوق المادة ، ونعيمه موصول بالسماء ، وبين الفينة والفينة يعاوده الحنين الى ذكريات الطفولة وأحلامها ، والى المشكاة وأيامها ، فيخيل اليه أنه يستطيع أن يطل على الحياة كما كان يطل ، وأن يرقب القافلة كما كان يرقب ، ولكن هيهات !

فردوس مصطفى

عجز التجارب

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

ما زاد مَرُّ حياتى غير أشجانى ... فَزَوَّدَتْنِىَ رجحاناً كنقصان
يا دهر لا تُنْسِنِى فى ضيق عادية ... محاسن العيش من صبر وغفران
وقوِّنِى بتجاريب أزاولها ... فانها لم تزدنى غير عرفان
وكيف يُلْهِمُ خُبْرٌ صَبْرَ مصطبر ... يَدْرِى له الخُبْرُ عرفاناً بايهان
يزيده العمر من وَهْىٍ ومن كِبَرٍ ... ما زاده العمر من خُبْرٍ بحِدْثَانِ
فكيف ينفع تجريبٌ ومانحه ... يوهى جلادة أعصاب وجثمان
بعض التجارب يُنْسِى بعضها زمناً ... إذا تعاور لبَّ المرء ضدان
فان تيقَّظ فى تجريب طارقةٍ ... فانما هو يقظانُ كوسنان
ضرورة العيش أن ينسى ليذكرما ... يفيد يعالج من أمرٍ له ثان
فالمرء ما عاش من حال لثانية ... مَنَقَّلٌ بين نسيانٍ ونسيان
فإنْ تذكَّرَ أمراً واحداً أبداً ... قضى الحياة غريراً جد غفلان
وإن تناسى ولا نَفْعٌ لخبرته ... وكيف يُجْدِيهِ مَنْسِيٌّ بغنيان
فان تذكر منسياً تبادهه ... منه فجاءة ما يقضى الجديدان
كأنه مُستَجَدٌّ لم يُلِمَّ به ... ولم يُحَوَّلْ إلى طبع ودَيْدان
ورب طبع بلا خُبْرٍ وتجربةٍ ... أسخى على المرء من خبر وعرفان
ذُخْرُ التجارب ذخرٌ لا رواج له ... ولم يُخَصَّ بأرباح وأثمان
ذخر الأقاصيص مسحوراً ومُخْتَزَناً ... فليس للعين منه غير ريعان
إلاَّ تجارب علمٍ يُستَجَدُّ بها ... ما يملأ العيش من حسن وإحسان
لولا انتفاعك من عادٍ مُغَفَّلَةٍ ... قد تجتبيها مع التجريب فى آن
لما خُدِعْتَ بأشباهٍ إذا اختلطت ... فعادةُ المرء والتجريبُ أمران
والخُبْرُ ليس بنافٍ عادةً شنأت ... ولا يُداوَى به من وهى أبدان
يزيدك الخُبْرُ علماً بالحياة وما ... تُغْرِى به الناس من شرٍّ وطغيان
حتى تسير على مجرى سجيتهم ... فلا يزيدك فيها غير إمعان
فإن أبيت سجايا الناس من شيم ... قضيت عيشك فى هم وأحزان
إلاَّ إذا ما لبست الدهرَ عافيةً ... فهيأت لك من صبر وغفران

عبد الرحمن شكرى

السجينة

للأستاذ فخرى أبو السعود

لك الله كم ذا تطمحين وأعزف ... وأثنيك عما تبتغين وأصرف
ويا نفس كم أزوِّرُ عما اشتهيته ... وأعنى بما لا تشتهين وأكلف
وأحجم عما رمتنى فيه مُقْدماً ... وأُقدِمُ فيما تكرهين وأسرف
وأبدى سوى ما تضمرين مكتِّماً ... جوى لك فى الجنبين لا يتكشف
تُجِنِّين تيهاماً ووجداً ولهفة ... وأظهر أنى الزاهد المتعفف
وتخفين إشفاقاً وأبدى جلادة ... وأغلظ يا نفسى عليك وأعنف
وأكظم غيظاً قد أطاشك فرطه ... وأجمل للباغى المسىء وألطف
كأنك فى الجنبين منِّى سجينةٌ ... تعذَّب فى ظلمائها وتحيَّف
وتُكبح عما تشتهيه وتبتنى ... وتُقمع أشواقٌ لها وتشوُّف
ظلمتك لم أظلم سواك من الورى ... وما من خلالى قسوة وتعجرُف
ظلمتك ، لا يا نفسُ بل تظلمينى ... وأصفح عما تُسْدِفين وأصدِف
أما كل يوم مذهبٌ لك شائق ؟ ... أما كل حين مأربٌ لك مُلْحف ؟
أما كل آنٍ غايةٌ إثرَ غاية ... أُكلَّفُ فى إدراكها ما أكلَّف ؟
وسيان محمودُ العواقب نافع ... لديك ومذمومُ المغبة مُتْلِف
أما تشتهين اليوم ما يُجْتَوى غداً ... ويُقْلِى لديك اليوم ما كان يشغف ؟
وهل أنا مُستطيعٌ رضاك لو أننى ... على العالمين الحاكم المتصرف ؟
ولو أننى عمرى أجاريك لم أعِشْ ... عن النَّهج إلا حائداً أتعسف
كلانا أبى نفسى بلاه لخدنه ... نعم وكلانا ناقم ومعنِّف
نعيش كأنّا اثنان لم يتعارفا ... وما لهما فى الدهر شمل يُؤلف
ظلمتكِ خدناً صاحباً وظلمتنِى ... فعلَّ فراقاً آتياً هو أنصف

فخرى أبو السعود

ظهر حديثاً :

فى أصول الأدب للزيات

يطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن مجلة الرسالة
وثمنه ١٢ قرشاً عدا أجرة البريد

أُغنيـــــة

بين يدى الشمس تسرى تحت السحاب

للأستاذ ابراهيم ابراهيم على

وجهٌ من يا فجر هذا ما بدا ... من وراء الغيب فى الأفق الجميل ؟!
سحَرَ الطيرَ ، فغنّى وشـــدا ... وترامت بهجة الدنيا تسيل
لهبٌ يندى على الكون ندى ! ... ناضر الجمرة كالخد الأسيل !
وجمالٌ فى جمالٍ فى جمالْ

يةٌ للحق فى عليـــائها ... تختفى فى السحب شيئاً وتبين
يقف العقـــل لديها تائهاً ... وهى أم العقـل والصبح المبين
غيمة واحـــدة تلهو بها ... تحجب الغرّاء حيناً بعد حين
أفسحرٌ ، ليت شعرى ، أم دلال ؟

أفهزلٌ ذاك يا أم الحياه ؟ ... لعبٌ فى الأفق ، لهوٌ فى السحاب !
ها هو الكون جميعاً يا فتاه ... يرقب الأضواء من خلف الحجاب
يسكبُ النور ، ولكن لا تراه ! ... ثم يبدو من ثنيّات الضباب
فى العلا نورٌ وفى الأرض ظلالْ !

بل هو الجدّ ، ولا هزل هنا ! ... بل هو الحق ، ولا حق سواه
بل هو الله ، تجلى ودنا ... وتبارك قديماً يا إله !
تبعث الشمس كأطياف المنى ... كالرؤى يوماً ، ويوماً كالمناه
وجمالاً فى جمالٍ فى جمالْ

(قليوب) ابراهيم ابراهيم على
المحامى

كتاب :
توفيق الحكيم الجديد :
محمـــد
شخصية النبى كما يراها
رجل الفن ... ...
يظهر قريباً — الطبعة محدودة

حَنين

للأستاذ رفيق خورى

واهاً على زمنٍ ما كان أقصرَهُ ... فديتُهُ بدمى لو صانه الزمنُ
نفضتُ منه يدى والحرصُ يُمسكه ... والمرء حيثُ أراد الدهر مرتهَنُ
إن الذين دعتهم نيّةٌ قذفٌ ... سر الضمير ، وقد فارقتهمْ علنُ
لا يستجيبون للمضنَى ، فدىً لهمُ
نفسى ، وكنتُ إذا ناديتُهمْ أذِنوا [1]
أكلما لاح برقٌ من ديارهمُ ... أجابه من دموعى عارضٌ هتن ؟
ما حيلةُ المرء فى الدنيا بنافعةٍ ... إذا أُريد به الترنيقُ والحَزَنُ
ضلّ الفؤادُ الذى طار الفراقُ به ... لهفى على هائم ما إنْ له سكن
يا ليتَ شعرى يدانينا السرور كما ... كنا ، ويجمعنا بعد النوى وطن ؟

حمص رفيق خورى

(١) أذنوا : أى سمعوا

اعلان

وزارة الأوقاف العمومية

تعلن الوزارة عن خلو وظيفتى مهندسين بقسم الأعيان والاستبدال من الدرجة السادسة ويشترط فيمن يرغب الالتحاق باحداها أن يكون مصرى الجنس حاصلاً على دبلوم الهندسة الملكية أو ما يعادلها من الدبلومات الأجنبية مستوفياً لجميع شروط الاستخدام بالحكومة المصرية وتقدم الطلبات باسم حضرة صاحب المعالى وزير الأوقاف (قسم المستخدمين والمعاشات) مرفقاً بها جميع الدبلومات والمؤهلات الحاصل عليها مقدم الطلب فى ميعاد لا يتجاوز ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٣٥ ومن كان موظفاً فعليه تقديم طلبه بواسطة المصلحة التابع لها — وللوزارة الحق فى قبول أو رفض أى طلب دون ابداء الأسباب

القصص

صور من هوميروس

١٦ - حروب طَرْوَادَة

فزع الآلهة . . .

للاستاذ دريني خشبة

قلق زيوس من اعتزام أخيل اقتحام الحرب وكيف لا يقلق سيد الأولمب وكل من الفريقين يصلي له ، ويطلب منه العون ، ويتوسل اليه أن يُظفره بعدوه ، فتنجاب هذه الغاشية التي صرّعت الرجال ، وضرجت أديم الثرى بدماء الأبطال ! !

ودعا اليه أربابه فعقد منهم مجلساً للمشورة ؛ فانتظمهم ديوان الأولمب ، وحفلت بهم ذروة جبل إيدا ، وطفق الاله الأكبر يقلّب الرأي على جميع وجوهه ، ويبحث المسألة من شتى أطرافها ، والأرباب فيما بين ذلك يحملق بعضهم في وجوه بعض ، وتضطرم في أفئدتهم نيران العداوة والبغضاء ؛ لأنهم كانوا جميعاً وقلوبهم شتى ! فهذا فريق منهم يعطف على طروادة ، ويشيد بذكر طروادة ، بل منهم من اشترك في بناء طروادة وإقام أسوارها ، وتحصين صياصيها ؛ والطرواديون من أجل هذا قد أخلصوا العبادة لهؤلاء ، وأقاموا لهم الهياكل المشيدة ، والمعابد المنيفة ، وهم في طويل الأحقاب والآباد ما يفترون عن عبادتهم والأضحيات لهم ، وتقديم القرابين والضحايا بأسمائهم

وفريق آخر من الآلهة يعتبر الشعب الهيلاني شعبه الخالص ؛ فهو لذلك يحدب عليه ، ويرجو الخير له ، وهو أبداً يستأذن سيد الأولمب فيحارب في صفوفهم ، ويشد أزرهم ، ثم الهيلانيون يخلصون العبادة لهذا الفريق ، وهم أبداً يتعلقون بهم ، ويقيمون المعابد لهم في كل حنية من جبالهم ، وبكل منعرج من شعابهم ، ومنهم كل مثال صناع اليد ، مرهف الحس ، رفيع الذوق ؛ وهم لذلك قد ملأوا المعابد والهياكل بتماثيل الآلهة ، حتى ما تقع العين على أجمل منها !

وفريق ثالث لا الى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ينقم على هذه الحرب الشعواء التي سُعِّرت لغير ما سبب يستأهل كل تلك الضحايا ويستحل كل هذه المهج ؛ وهذا الفريق يحنق على طروادة ويحنق على هيلاس على السواء . ويود لو يأذن سيد الأولمب فيزلزل بهما الأرض ، أو يرسل عليهما كِسَفاً من السماء ، فلا يبقى على أحد منهم أبداً ! !

واتفق الآلهة على أن يذهب فريق منهم فيكون في صفوف الطرواديين يرشدهم ، ويدفع عنهم عادية أخيل ، ثم يذهب فريق آخر فيكون في صفوف الهيلانيين يفل من نشاطهم ، ويكسر من سورتهم ، حتى تكون الحرب بين الجمعين سجالاً ؛ وإلى أن يرى الآلهة في شؤون خلقهم رأياً آخر

وانطلقت حيرا مليكة الأولمب ، وميزقا ربة الحكمة ، ثم هرمز رسول الآلهة وقائد الأرواح إلى هيدز . وفلكان الحداد وإله النيران ، الذي فضحه مارس في زوجه ، وبوسيون رب البحار العتيد الذي روّع الطرواديين في هذه الحرب أيما ترويع

انطلق هؤلاء فكانوا في صفوف الهيلانيين

وانطلقت فيتوس إلى صفوف الطرواديين ، وراح في أثرها أبوللو وأمه لاتونا وديان ومارس وإكسانثوس ، وفئة غير هؤلاء من عشاق فينوس

وانبث الآلهة ينفخون في أبواق الحرب

وصاح أخيل في شياطين الميرميدون صيحة داوية . زادتها ميزقا قوة ، فما تركت فؤادا إلا زلزلته ، وما غادرت نفسا إلا تركتها ترجف من خوف وفزع

وكان أبوللو ينظر الى أخيل فيتميز من الغيظ ، ويود لو يبطش به بغدرة من غدراته التي أودت ببتروكلوس من قبل ، ولكنه أحس بفرائصه ترتعد ، وفقاره يندك من الرعب ، لما رأى حول

أخيل من هذه الأرباب المتعطشة للدماء ، لا سيما هذا الإلـه الوحش نپتيون الذى يرسل من عينيه ركانين من الغضب يضطرمان اضطراماً

وآثر أپوللو أن يستخفى فى زى ليكاون بن پريام وصورته ، وأن يذهب من فوره إلى إينياس العظيم مستشار طروادة وأبسل شجعانها بعد هكتور ، فيثيره على أخيل ، ويلهب فيه نخوة الجاهلية التى ســـداها التفاخر بالأنساب ، ولحمتها التباهل بالأحساب ، والتبجح بأنها ابن من سمك السماء ، ودحا الأرض ، وأنبت فيها من كل زوج بهيج !

واستطاع أپوللو أن يهوّن على إينياس من شأن أخيل ، وأن يحقر فى ناظريه خطبه ، واستطاع ببيانه الموسيقى ، وطلاقته السحرية ، أن يدفعه إلى ناحية أخيل ، الذى وقف مكانه يقذف الرعب فى قلوب الطرواديين وأحلافهم ، باحثاً عن غريمه البغيض ، هكتور بن پريام ، يود لو يخلى بينه وبينه فيبطش به ، ويشفى هذا الغلى الذى يتأجج فى جوانحه ، بما قتله أعز أصدقائه ، وأحب الناس اليه

ووقف إينياس تلقاء أخيل ، فتبسم زعيم الميرميدون ، ووعظ المحارب أن يتنى فلا يلقى حتفه ، وذكره بما حدث بينهما قديماً ، حين ساق أخيل قطعان اينياس السائمة فى سفح جبل إيدا ؛ وما كان من فرار اينياس ، هذا الفرار المضحك ، الذى أشمت به الأعداء ، وأثار عليه سُخرية الأصدقاء والأوداء !

ولـكن اينياس ، الذى كان ما يزال مأخوذاً بسحر أپوللو وموسيقاه ، أبى واستكبر ، وهز أعطافه ، ثم أخذته العزة بالأثم ، وانطلق يقذف فى وجه أخيل بهذا التفاخر الذميم الذى لا يجدى فى حلبة الحرب نفعاً ، ولا يجر على صاحبه مغنماً ، يوم لا حكم إلا للمرهف البتار ، ولا قول إلا ما يقول الفيلق الجرار

والتحم المحاربان العظيمان !

وارتطم الصخر بالصخر ، وثار النقع فى الميدان وأظلم حتى قد تهاوت كواكبه ، ونظر الجمعان نظرة القلق الحيران ، وأخذ القدهول يضرب أطنابه على الساحة الحمراء ، ونظروا فرأوا اينياس يستجمع كل قوته ، ويقذف برمحه العظيم فتردد درع ثلـكان ، وإن تكن الطعنة قد شقت منها طبقتين ، وفترت ، فلم تصل الى فؤاد أخيل

وهنا !

اشتعلت نيران الدنيا فى عينى زعيم الميرميدون ، وذاب فى أعصابه حميم من الغضب ، وأرسل بدوره رمحه الهائل يرن على درع اينياس فلا يصيبه بأذى ، ولـكنه ، لعظم الطعنة ، يصرعه ويطرحه فوق أديم الثرى فريسة رخيصة لغوائل الردى ، وضربات الرقاق البيض

وينحنى أخيل من عربته الفخمة ، فيتناول حجرا عظيما ، قد يتعب عشرة من صناديد الرجال فى حمله ، ثم يرفع الحجر ليقذ به جمجمة اينياس . . .

ولـكن ! . . . .

لا ! ينبغى ألا يقتل إينياس ، لأنه ابن زيوس سيد الأرباب ، وهو لو قتل لم يرض به أبوه ألف ألف أخيل ، وألف ألف ميرميدون كلاً أخيل ! . . .

هكذا قدّر نپتيون ! وقُتل نپتيون كيف قدر ! !

لقد أرسلها إلى حيرا ، مليكة الأولمب التى كانت قريبة تشهد الحدث الأعظم ، قولة غير صادقة إلا فى زعم نپتيون !

وعارضت حيرا فى تدخل نپتيون ، ولـكنه ، لشـدة حبه أخيل ، لم يسمه إلا أن يسرع إليـه فينشر أمام ناظريه ضبابة كثيفة حجبت عنهما هدف إينياس ، ثم احتكفأ يحمله بعيداً من أخيل ، حتى انتهى الى صفوف الطرواديين الخلفية ، فسجاه على العشب الأخضر ، وأخذ فى نصحه ألا يجازف بنفسه أمام أخيل كرة أخرى ! !

وكان الجمعان ينظران إلى إينياس محمولاً فى الهواء . . فيأخذ العجب منهما كل مأخذ ! !

* * *

وانمحت الضبابة ، وبطل السحر ، ونظر أخيل فلم يعثر لأينياس على أثر ، وشـدهه أن ينجو خصمه من قتلة محققة ، فيُلقى فى روعه أن إينياس سليل الآلهة كما ادعى منذ لحظة ؛ ثم يشدهه أكثر نجاة الميرميدون والهيلانيين على السواء ، بعد إذ رأوا إلى إينياس محمولا فى الهواء !

ويحفهم أخيل على خوض المعمعة ، ويستطيع بحماسياته أن يلهب فى صدورهم روح الاقدام . . .

ويكون هكتور فى هذه اللحظة تائما فى جنوده يحفهم هو الآخر ويطمئنهم أن الآلهة معهم فلا يخافون ولا يحزنون . ويراه أخيل فيخفق قلبه ، ويملو صدره ويهبط كأنه الخصم الغاضب . ويدفع عربته نحوه ، فتندفع الخيل ، وكأن النيران تنـدلع من عيونها وأنوفها . . . .

وكان أپوللو إلى جانب هكتور ، فلم يرض له أن يلقى أخيل

الذى ما خاض المعمعة الا ليثأر لصديقه بتروكلوس

وكاد هكتور لا يأبه لكلام أبوللو ، وتقدم فعلا ليفي حيل ، ولكن الآله الكبير زجره زجراً شديداً ، ثم أمره بالتقهقر فى الحال ... فانسحب بطل طروادة ، وترك أخيل يحرق الأرض مكانه ، إذ أفلته هذا الصيد الثمين ! !

وانقض أخيل يشفى غيظه بقتل عشرات وعشرات من أبطال طروادة فصرع إيفتيون العظيم ابن عذراء البحر ، ثم ثنى بالكمى الكبير ديموليون ، شج رأسه فانبثق الدم يتفجر منه ، وبرز الخ ، وذهبت روحه إلى هيدز ! ثم ثلث ببطل الأبطال هيوداماس ، شكه شكة فتركه يخور كخوار الثور ، مسوقا إلى مذبح الآلهة ... ثم انقض على بوليدور بن بريام ، ملك طروادة ، فطعنه فى ظهره طعنة صرعته ، ونشرت ظلام الموت فى عينيه ، فهوى إلى الأرض يئن أنينا مؤلما ، أبكى الجند ... وأحزن أخيل نفسه ...

لقد كان بوليدور أحب صغار بريام اليه ، وكان يجرى فيسابق الريح ، وينازل القروم الصيد فيصرعهم عشرات ووحداناً ، فيا حزن أبيه الملك عليه بعد اليوم ! !

وكأن ظلام الموت الذى خيم على عيني بوليدور امتد حتى ظلل عينى هكتور ! ولم تكن الحياة رخيصة فى نظر بطل طروادة مثلها اليوم ، فقد لجمه أخيل فى بوليدور ، فلا بد أن يفجع ذبتيس وبليوس ، والذى أخيل ، فى أخيل نفسه ...

وألهب جياده فاندفعت بعربته ناحية أخيل ...

واستبشر زعيم الميرميدون حين رأى هكتور يسرع ناحيته قدما ، وذكر أنه قاتل بتروكلوس فدارت به الأرض ، وذكر أن بتروكلوس ينتظر ثأره ميتا ولا بد أن يعود أخيل اليه به ، فتقدم نحو هكتور وقال له :

« هلم يا بن بريام فتعجل قتلتك ، وودع الحياة الحلوة التى لن تهنأ بها بعد اليوم ! ! » ونجهم هكتور ، وكلم أخيل فاعترف أنه أقوى منه ، وأطول فى مواقف الحرب باعاً ، ولكنه حذره من الغرور ؛ « ومن يدرى ؟ ! هل أوحت اليك السماء أنك تقتل هكتور ؟ وهل أخذت على المقادير والأقضية عهداً ألا يصرعك هكتور ... » ثم انقض بن بريام فأرسل حربته الظامئة إلى صدر أخيل ، ولولا أن مينرفا كانت إلى جانبه تحرسه ، ولولا أنها زحزحته قليلا فتفادته الطعنة ... لكان أخيل حديثاً من الأحاديث

وبهت أخيل ، ثم صاح صيحة رجف لها جانب الجبل ، وجاوبتها أسوار طروادة ، ورددت أصداءها أجواز السماء ؛ وانقض على هكتور يود لو يقتلعه من عربته فيخبط به الأرض ، وتذهب روحه بعدها إلى الجحيم ! ...

وكان أبوللو إلى جانب هكتور هذه المرة ، كما كان إلى جانبه دائما ؛ وراع الآله الأكبر أن يهجم أخيل تلك الهجمة التى يعجز عن مثلها مارس الجبار نفسه ...

وذهل أبوللو ماذا يصنع ، ليقى بطله من رمح أخيل ؟ !

ثم ذكر ما صنعه نبتيون من أجل ايناس ، فنشر ضبابة كثيفة أمام ناظرى أخيل ، وتقدم إلى هكتور فحمله ، وذهب به الى حيث يكون بنجوة من مصير محزن ، كان يوشك أن ينتهى اليه . . . . .

وظل أخيل يطعن الضبابة ، مشدوه اللب حيران ! !

طعنها مرة ، ثم مرة ثانية ، ثم ثالثة ، ثم ما كاد يطعنها الرابعة حتى امحت وبطل السحر ، وانكشف له الميدان يضج بالجند ، ويعج بعدة الحرب ، ولكنه مع ذاك ، وغير ذاك . . . . خلو من هكتور ! ! . . . . . .

« جميل يا هكتور ! ! صل للآله الذى أنقذك اليوم منى ! صل لربك أبوللو ! لقد أنجاك من قتلة بينة ، وموتة محققة . . . صل له يا هكتور ! ولكن ثق أننا سنلتقى بعدها ، ولا أدرى هل ينقذك الآلهك عندها ؟ ! إن لى أربابى التى تحمينى ، والتى إن فوجئت بغادر مثلك فهى تنجينى . . . . . سنلتقى يا هكتور . . . . فصل الآن لأبوللو واشكر له . . . . . »

* * *

وثار أخيل فكان زوبعة !

وطفق يصرع أبطال طروادة ، فطعن دريوپس طعنة اخترمت حياته ، ثم جندل دماخوس وأسرعت روحه إلى أمواج ستيكس المنصهرة ، وتقدم فأطاح رأس دردانوس العتيد ، وجال جولة هنا وجولة هناك ، فكانت المنايا تتعثر أنى ذهب ، وأبان صار ، فهذا تروس البطل ملق على الأرض والدم ينبثق من كبده ، ومولیوس الصنديد زائغ العينين يتوجع مما ألم به ، وإخكلوس ابن أجينور تساقط نفسه حشاشات ، ثم ديكاليون الذى دوخ الجيوش وروع الأبطال ، وبث اليتم فى كل دار ... ها هوذا فوق الثرى صعيداً جرزاً ، وجثماناً يتدفق الدم من جراحه ... نهاية حمراء لحياة حمراء ... كلها حرب وتقتيل !

ورجموس ! !

البريد الأدبي

كتاب عن المسألة الحبشية

أثارت المسألة الحبشية واعتداء الاستعمار الايطالي على الحبشة نشاط المؤرخين والكتاب كما أثارت اهتمام الساسة والرأي العالمي، وظهرت في الآونة الأخيرة عدة كتب ومباحث تاريخية وسياسية واقتصادية وعسكرية عن إيطاليا والحبشة وكل ما يتعلق بتلك المشكلة الخطيرة التي ما زال يضطرب لها العالم كله منذ أشهر. وكان مما ظهر أخيرا في ذلك الموضوع كتاب للكاتب الانكليزي اميل بيرنز عنوانه « الحبشة وايطاليا »[1] واميل بيرنز كاتب اشتراكي، وكتابه حملة قوية على الاستعمار الغربي، وأحدث فوراته ونزعاته أعني الاستعمار الايطالي. ويقول الكاتب في مقدمته إنه يقصد بما يكتب أن يبين الأسباب الدفينة التي تجثم وراء الحوادث ووراء ستار المظاهر الدبلوماسية؛ والحوادث الظاهرة هي اعتداء ايطاليا المسلح على الحبشة، وعمل انكلترا وفرنسا السياسي في عصبة الأمم أو خارجها، وليس هذا العمل في نظر اميل بيرنز سوى مؤامرة استعمارية

ويستمد اميل بيرنز أدلته من حوادث التاريخ الحبشي منذ سبعين عاما؛ فتاريخ الحبشة يحفل خلال هذه الحقبة بمشاريع انكلترا وفرنسا وايطاليا ودسائسها المستمرة، وكل تغالب الأخرى في سبيل الحصول على النفوذ الأوفر في الحبشة؛ والرأسمالية الاستعمارية من وراء السياسة تحاول أن تضع قدمها في تلك الأرض الغنية. وليس عمل إيطاليا الا اعتداء في سبيل الاستغلال والسلب؛ ذلك أن أحدا في العالم لم يصدق أن إقدام إيطاليا على اتخاذ هذه التدابير العسكرية كان من باب الضرورة والتحوط وليست لها صبغة اعتدائية، وأنها ليست إلا ضمانا للسلام والأمن ضد أمة همجية، ولم يدهش إنسان بعد ذلك أن يرى هذه الاجراءات تتخذ فجأة صبغة الغزو المسلح، وأن تتحدى إيطاليا رأي العالم المتمدن كله، ولم تقم الدول الاستعمارية الأخرى بعمل حاسم لمنع هذا الاعتداء، وإذا كانت قد فعلت شيئاً فذلك لأن الموقف النبيل الذي وقفه النجاشي كان مثارا لاعجاب العالم وعطفه

وقد كانت الحبشة فريسة الاعتداء المدبر، وكان لايطاليا أن تحمد الفرصة السانحة من كل وجه وخصوصا لأن موقف الحكومة القومية الانكليزية في تأييد سياسة النازي (الهتلريين) في ألمانيا قد دفع فرنسا إلى أحضان إيطاليا وانتهزت إيطاليا هذه الفرصة لتضمن تأييد فرنسا لها في افتراس الحبشة. بل لقد حاولت انكلترا أن تعمل على اقتسام الحبشة مع إيطاليا، ومن أجل ذلك قدمت مشروعها بالتنازل عن زيلع الى الحبشة

ويتناول المؤلف بعد ذلك العوامل الاقتصادية التي دفعت بالحكومة الفاشستية إلى اعتدائها، ويسرد الأدلة على أن « التمركز المالي » هو الذي يدفع الى هذه النزعة الامبراطورية ثم يتحدث بعد ذلك عن « الفاشستية وعصبة الأمم » ويبين لنا كيف أن الرأسمالية من وراء كل حركة وإجراء تعمل باسم

(١) Abyssinia anb Itaiy

رجوس بن بريوس ! الذي شد رحله من تراقية لينصر الطرواديين على بني وطنه . . . قائداً جموعه التي لا حصر لها؛ مؤلباً القبائل والأنخاذ على الأرض التي أنجبته، والآلهة التي نشأنه . . . لماذا؟ لا سبب معقول ! ! ولكنه طيش الملك وغروره وكبرياؤه . . . ولأن الهيلانيين لم يختاروه قائدا لهم في هذه العشوزنة الزبون ! !

لقد امتشق أخيل سيفه، وأصلته على رأس رجوس، ثم أهوى به، نخر الخائن يتشحط في دمه . . . . . وانتهت بموته حياة ذميمة

وزُلزل قلب أريثوذ . . . حارس رجوس وسائسه . . . فود لو فر بعربة سيده، لولا أن عاجله أخيل بضربة قدت أضالعه، وذهبت بروحه إلى حيث ذهبت روح مولاه . . . . . ؟

(لها بقية) دريني خشبة

الأقليات وباسم الانتدابات ؛ وكيف أن الرأسمالية الخصيمة تحاول أن تقضي على أي مشروع للصلح يتضمن أي مغنم للرأسمالية الفاشستية ، وهذا بصرف النظر عن قضية الحبشة وعدالتها . والآن تسنح فرصة بديعة لسحق الفاشستية ونظمها الطاغية ، ولكن هل تنتهز الدول هذه الفرصة ؟ ويقول لنا الكاتب إن الواقع أن حكومة انكلترا القومية إن هي إلا حكومة فاشستية بمعنى الكلمة لا ينقصها سوى الاسم .

ويعرض المؤلف نظرياته وأدلته بقوة ووضوح ولا سيما فيما يتعلق بالمسألة الابطالية الحبشية ، ويسبغ على عرضه صبغة اشتراكية واضحة ولكن معقولة متزنة ، وكتابه يعتبر من خير الكتب التي أخرجت أخيراً في موضوعه ، ويمتاز بالنسبة للشعوب الشرقية بأنه حملة قوية منظمة على الاستعمار وأساليبه تعالج صدر كل شرقي يرى أساليب الاستعمار الهمجية تعمل في وطنه وأمته

ذكرى غزوة بدر الكبرى

تألفت بالقاهرة لجنة من الشباب للاحتفال بذكرى غزوة بدر الكبرى في ١٧ من رمضان لأنها أول نصر حاسم في تاريخ الاسلام . وستكون الحفلة برياسة الدكتور محمد حسين هيكل . ومن خطبائها الأساتذة الدكتور محمد حسين هيكل ، الشيخ عبد المجيد اللبان شيخ كلية أصول الدين ، السيد محمد الغنيمي التفتازاني ، الدكتور عبد الرحمن شهبندر ، محمد افندي عبد الباقي سرور نعيم ، الشيخ أحمد البهي مندوب الأزهر ، أحمد أفندي شوقي مندوب كلية الحقوق

وسيكتب في هذا الموضوع الأساتذة محمد جاد المولى بك ، أحمد حسن الزيات ، حفني محمود ، محمد علي غريب ، عبد الحميد الشهدي .

كتاب (محمد) للأستاذ توفيق الحكيم

كتب الأستاذ توفيق الحكيم رسالة إلى أحد أصدقائه الفرنسيين في اكتوبر سنة ١٩٣٤ ، جاء فيها عن كتابه (محمد) ما يأتي : « إن كتابي عن محمد (ص) لا يزال في طور التحضير والتهيئة ، وعسى أن أتمه في الشتاء المقبل . وسأبرز فيه النبي الكريم متكلما بكلامه المأثور ، في صورة تستوعب حياته المجيدة ، كما يتصورها الفنان ، لا كما يفهمها العالم والمؤرخ . . . »

الصقالبة في الرواية العربية

الى الأستاذ المحقق محمد عبد الله عنان

قد قرأت لحضرتكم في عدد الرسالة (رقم ١٢٦) مقالا تحت هذا العنوان ، وفيه عبارة لابن حوقل عن صقالبة الأندلس ، جاء فيها : « فنصف بلدهم (الصقلب) يسبيه الخراسانيون ويصلون ، والنصف الشمالي يسبيه الأندلسيون من جهة جليقية وإفرنجة وانكبردة وفلورية ، وبهذه الديار من سبيهم الكثير » . ثم استنتجتم من ذلك أن لفظة الصقالبة كانت تطلق على سكان هذه البلاد المذكورة ، والذي يغلب على ظني أن هذه العبارة لم يرد بها ذلك ، بل المراد وصف الطريق التي كان يسلكها سبي الصقالبة ، حتى يصل إلى الأندلس ، فهل عند الأستاذ ما ينفي هذا الظن ؟

(قنا) عطية الشيخ

الانسان والكون — آراء علمية جديدة

ألقى العلامة الطبيعي الانكليزي الأشهر سير جيمس جينس أخيراً محاضرة عن « الانسان والكون » حمل فيها بشدة على مادية العلم القديمة ، وقال إنه يعتقد أن الانسان ليس آلة صماء ، وانه يناضل في الواقع من أجل تصيره ، وانه قد أحرز أخيراً نجاحاً لا شك فيه . بيد أنه ما زال عليه أن يناضل من أجل مركزه في المجتمع ، فاذا أخفق في هذا النضال فقد يتأصل ويقضي عليه كما قضى على أجناس وفضائل أخرى من قبل ، وفي هذه الحالة يكون الانسان ضحية جنس آخر من صغار المخلوقات ، ربما كان هو الميكروبات التي لا يراها لصغرها

وإذا نجح الانسان في هذا الصراع واستطاع أن يظفر بتوطيد مركزه ، فان مواهبه وكفاياته قد تتسع وتزيد تدريجياً حتى يتحول إلى شيء آخير غيرما هو اليوم عليه وربما كان شيئاً أرفع مما هو عليه . وقد نختلف عنا سلالتنا بعد عشرة ملايين سنة كما نختلف نحن عن أسلافنا المنحطين منذ عشرة ملايين سنة . وشر ما يخشاه الجنس الانساني هو الهزيمة والعدم ، وخير ما يؤمله هو أن يغدو قنطرة منسية للطريق إلى أشياء أسمى

وقد لاح في وقت ما ان نظرية « النسبية » قد وضعت حداً لكل الآمال التي تساور الانسان في جعل العالم أكثر رفاهة وسعادة وجمالاً وأكثر نبلاً وعدالة طبق مثله الخاصة

أما الآن فلدينا أسباب كثيرة تحملنا على العودة إلى اعتقادنا في أن الماضي والحاضر والمستقبل لها في الواقع معنى موضوعي وليست هواجس تهجس في عقولنا ، وبعبارة أخرى يجب علينا أن نعتقد أن الزمن إنما هو حقيقة مادية

واستعرض السير جينس بعد ذلك ما وصل إليه العلم في شأن « الذرّة » وما يقال من أنه لا يمكن سير الذرات ، وأن سير الطبيعة يقوم على غير نظام ونقرير سابق ؛ ومن رأيه أن العلم عاجز عن أن يقدم أي تحديد أو أي تدليل على مسألة « الحبر » القديمة ؛ وقد يكون الانسان أو لا يكون آليّا ، ولكن العلم لا يستطيع أن يبرهن على أنه ليس آلياً ، ثم هو لا يستطيع أن يبرهن أنه آلي قال ؛ وإذا استعرضنا تاريخ العلوم في جملته ، فاننا نرى المعارف العلمية ما تزال ترغم الانسان على أن يخفض من تقدير نفسه ومركزه في الكون حتى بدء القرن الحالي ، أما أنا فأرى أن التيار قد أخذ يتطور ، واننا على ضوء المعلومات التي ترتبت على نظرية النسبية والكمية ، نستطيع أن ننظر إلى مركزنا في شيء من التفاؤل لم يسمح به العصر الفيكتوري »

شرعية الانتحار

يعرض في القريب العاجل على مجلس اللوردات الانكليزي مشروع قانون فريد في نوعه ، يراد به تقرير شرعية الانتحار ، أو بعض أنواع القتل ؛ ففي العهد الأخير وقعت في انكلترا عدة حوادث رنانة مؤثرة ؛ قتل فيها الابن اباه ، والزوج زوجته ، والعاشق حبيبته ، ولم يكن قتلا عاديا أو له صفة الجريمة ، بل كان قتلا بمنته الاشفاق والحب ، وكان في الغالب بناء على طلب المجني عليه ؛ وكان المجني عليه أو القتيل في معظم الأحوال يشكو مرضا لا يرجى برؤه ويعاني آلاما مروعة يريد أن يتخلص منها بالخلاص من حياته ، فيطلب الى أحب الناس اليه أن يقوم بهذه المهمة الانسانية . وقد وقعت عدة حوادث من هذا النوع ، وقدم « الجناة » أو الذين ارتكبوا القتل بهذه الطريقة الى القضاء فحكم القضاء في الغالب بالبراءة إزاء الظروف المؤثرة التي وقع فيها القتل ، وإزاء انعدام نية الجريمة من جانب المتهم ولكن بعض « الانسانيين » وأنصار هذا النوع من الاعدام يخشون أن يقسو القضاء فيعامل المتهمين في هذه الحوادث بالشدة وينال قصاصه المؤلم ، لأن الانتحار يعتبر في القانون الانكليزي جريمة ويعاقب كل من اشترك فيه أو ساعد عليه ؛ ولذلك رأى بعض اللوردات أن يقدم الى المجلس مشروع قانون يبيح القتل في مثل هذه الأحوال ، وقد روعي في هذا المشروع أنه توجد حالات ألمية يشتد فيها المرض والألم على الفريسة فيتمنى كل من حولها لها الخلاص من هذا العذاب ، ويعتبرون من واجبهم المقدس أن يلبوا طلبها في الاجهاز عليها وانقاذها من ذلك الجحيم ؛ ولكن روعي من جهة أخرى أنه قد توجد حالات يتمنى فيها أهل المريض المعذب وفاته بسرعة ليحظوا بالارث والثراء ؛ وقد ينتهزون فرصة آلامه ، وهذيانه فينتزعون منه اقراراً كتابياً بطلب الموت ، ثم يجهزون عليه ؛ ويتذرعون بهذا الاقرار للافلات من العدالة ؛ ففي هذه الحالة يتطلب القانون الجديد أن يقع مثل هذا الاقرار على يد موظف عمومي ، وذلك بعد أن يصدر الطبيب المختص قراره بأن المريض لا يرجى برؤه وانه يعاني آلاما لا يمكن احتمالها مع الحياة ؛ ويشترط مشروع القانون أيضا أن الذي يقوم بعملية الاعدام أو الاجهاز على الفريسة طبيب مرخص له بذلك

وهكذا يراد أن يشرع حق الانتحار ، وأن يمنح حق الاعدام في ظروف معينة ؛ وسنرى ما اذا كان مجلس اللوردات يقر هذا القانون المدهش

معرض الفن الصيني

افتتح أخيراً في لندن في « برلنجتون هاوس » معرض الفن الصيني الذي كانت تتخذ العدة لافتتاحه منذ أشهر . وقد عرضت في هذا المعرض تحف وآثار صينية نفيسة يرجع الكثير منها إلى نحو ثلاثة آلاف سنة . ومعظم هذه التحف الرائعة ملك للصين ولكن الحكومة الوطنية الصينية ارتضت أن تعيرها للسلطات الفنية البريطانية بعد مفاوضات طويلة ؛ ونقلت المعروضات في طرادة بريطانية مسلحة وأخذت إلى لندن لتعرض هنالك على أنظار العالم المتمدن . وتدل هذه التحف على أن الصين كانت قبل آلاف السنين تتمتع بحضارة رائعة تضارع في ازدهارها وروعتها حضارة مصر القديمة ، وتدل على أن الفنون الصينية بلغت مبلغا عظيما من الافتتان . وقد كان الابتكار يقترن لدى الفنان الصيني مع الصبر وتخير النماذج الفائقة . وأقدم التحف المعروضة هي آنية للمراسيم الدينية صنعت من البرونز ويرجع صنعها إلى سنة ١٧٦٦ قبل الميلاد ؛ وكان البرونز أول مادة استعملت في الفن الصيني ؛ ولم يبدأ النحت البوذي الا في القرن الرابع أو الخامس الميلادي . وقد كان افتتاح المعرض الصيني حادثا فنيا عظيما في انكلترا ، وهرعت الجماهير الحاشدة لرؤيته من أنحاء الجزر البريطانية وأمم القارة الأوربية

الكتب

كتاب التشريح المرضى والجنائى

تأليف الدكتور محمد زكى شافعى

بقلم الدكتور محمد الرافعى

لا أسهل من العلوم من اختصارها ، ولا أيسر من اخراج الكتاب الضخم مُحَصّلا فى جزء لطيف . وقد كانت هذه طريقة علمائنا المتقدمين ؛ فليس من كتاب ذى خطر إلا وقد اختصروه مرة أو مراراً ، يريدون إما تقريبه من الأذهان وإما حصر فوائده ، وإما جعله كالمذكرات . وقد يعجز بعض العلماء عن التأليف ويريد مع ذلك أن يكون مؤلفاً فيجد مادته من الكتب المطوّلة يؤلف منها ما يسميه المختصر أو الموجز أو نحو ذلك . وهذا كله سهل ، بل بعضه أسهل من العبث إلا فى الطب ، وخصوصاً حين يكون الاختصار فى فرع من فروعه التى اختص بها علماؤها كهذا الكتاب الذى نحن بصدده

إن وضع كتاب مختصر فى فرع من الفروع الطبية وخصوصاً باللغة العربية هو عمل من أشق الأعمال ، وأدقها إذا أريد أن يكون الكتاب مع اختصاره وافياً فى موضوعه ، محققاً لفائدة الأصل المطوّل ، جامعاً لفوائد جديدة تعطى الكتاب حكم التأليف مع تسميته المختصر . ومادام الطب شرحا للجسم المعجز فى تركيبه وأعماله ودقائقه المحيرة للعقول ؛ فالتأليف فيه لا ينتهى ، واختصار المؤلفات فيه لا يكاد يوفق إليه إلا النوابغ المحيطون أوسع إحاطة ، والمتمرنون تمرينا طويلا ، والمتتبعون لكل جديد

ومن هؤلاء مؤلف كتاب (التشريح المرضى والجنائى) الدكتور محمد زكى شافعى ، مدير المكتب الفنى بمصلحة الصحة العمومية بمصر . وقد قال فى مقدمة كتابه هذا : « لقد اشتغلت حوالى العشرين عاما بالطب الشرعى ، ولا أزال أعمل الآن مراجعة بعض الأعمال الخاصة به ، وكثيرا ما استرعى نظرى أن الحاجة ماسة أشد مساس الى كتيب خاص بالتشريح المرضى والجنائى ، يرجع اليه الطبيب الكشاف إذا أعوزه الأمر للاطلاع العاجل ، فانه كثيراً ما يجد نفسه فى مأزق حرج ، إذ يطلب إليه — وهو بعيد عن مراجعه — الفصل فى مسائل فنية دقيقة الخطورة ، يتوقف على الاجابة عليها مصير متهم قد يكون بريئاً

ولقد كنت أشعر بهذه الحاجة فى أثناء ممارستى للتشريح ، ولا سيما فى الجهات التى أكون فيها بعيداً عن مراجعى ، وكل الأطباء يدركون دقة هذا الموقف

ولقد عرضت على زميلى « الدكتور لبيب شحاته » أن نعمل على سد هذا النقص ، فوضعنا مما هذا الكتاب ، وتوخينا فيه أن يكون عملياً أكثر منه نظريا ، وجعلناه واضح العبارة ، سهل المأخذ ، حتى ينتفع به كل مشتغل بالطب الشرعى ، وانتقينا أحدث المعلومات ، وأرجحها قبولا لدى جمهرة الأطباء الشرعيين ولذلك اضطرتنا الحال إلى الاطلاع على مراجع عديدة علاوة على المذكرات الشخصية »

ومع أن الكتاب كما يصفه حضرة مؤلفه فقد وقع فى ٤٩٠ صفحة ، وبلغت المراجع التى اعتمد عليها واضعاه عشرين مرجعا ، يضاف اليها اختبار المؤلف وتحقيقه مدة عشرين سنة ، وذلك فضلا عن رجوعه فى بعض مسائل كتابه الى كثير من الأساتذة المختصين ، بحيث جاء الكتاب عظيم الفائدة للمشتغل بالطب الشرعى ، وللطبيب الشرح ، ولمن يتصلون بالحوادث الجنائية من القضاة ورجال النيابة والمحامين فهؤلاء جميعاً يهتدون فيه الى أدق المسائل الفنية بأيسر طريقة وأسرع وقت ، ويصيب كل منهم غرضه الفنى أو القضائى . وقلما يحتاج مع هذا الكتاب إلى الأصول المطولة إلا فى التدريس ، على أنه فى التدريس ذو قيمة ثمينة إذا جعل للطالب كالتذكرة التى يدون فيها خلاصة علمه . هذا وإن ضم التشريح المرضى الى التشريح الجنائى فى كتاب واحد عمل فنى بديع لم يُسبق اليه .

وأما وقد درست هذا العلم على الفحول من رجاله فى فرنسا ، لا يسعنى إلا أن أهنئ الدكتور محمد زكى شافعى ، ومساعده الفاضل الدكتور لبيب شحاته بكتابهما وبما وفقا فيه ، فهو توفيق يستحق التهنئة العلمية

الدكتور محمد الرافعى
خريج جامعة ليدن بفرنسا

لباب الآداب لابن منقذ

تحقيق وتعليق الأستاذ احمد محمد شاكر

للأستاذ محمد بك كرد علي

بنو منقذ أصحاب قلعة شيزر من عمل حماة في الشام كانوا معروفين على عهد الحروب الصليبية بالفروسية والسياسة والأدب والأمارة ، وقد خلد أسامة بن منقذ (٤٨٨ — ٥٨٤ هـ) أحد رجال هذا البيت بأدبه ذكر آله في التاريخ . ولما طبع له العلامة درنبرغ كتاب « الاعتبار » في سنة ١٨٨٤ م بمدينة ليدن في هولاندة اشتهر أسامة بين الأدباء في الشرق والغرب ، لما حوى كتابه من أخبار البطولة والشجاعة ، ولأنه صُنِّف على غير مثال . وقد طبع له درنبرغ أيضا كتاب العصا وغيره في باريز ، وعُني بجمع أخباره بالفرنسية وخدمه وأولع به

والآن طبع الأديب لويس سركيس في القاهرة كتاب « لباب الآداب » لأسامة أيضاً ، وتولى تحقيقه والتعليق عليه الأستاذ أحمد محمد شاكر ، وحلاّه بفهارس الأعلام وأيام العرب والأماكن والقوافي ، وشكله تقريبا بالشكل الكامل ، فقرّب فوائده من يد المستفيد ، وأضاف الى ما طبع من كتب الأدب القديم سفراً آخر قال في وصفه إنه من أجود كتب الأدب ، وإن فيه أقوالا من نثر ونظم لم يجدها في كتاب غيره من الكتب المطبوعة

قسم المؤلف كتابه الى عدة أبواب فيها عظة وتعليم وأهداه لابنه الأمير مرهف ، وجعل أبوابه في الوصايا والسياسة والكرم والشجاعة والآداب وكتمان السر والأمانة والتواضع وحسن الجوار والصمت وحفظ اللسان والقناعة والحياء والصبر والرياء والاصلاح بين الناس والتعفف والتحذير من الظلم والاحسان وفعل الخير والصبر على الأذى ومداراة الناس وحفظ التجارب وغلبة العبادة والبلاغة . وهناك فصول من كلام رسول الله والصحابة وغيرهم ، ومن كلام سليمان الحكيم وبرسين الحكيم وافلاطون ، ونوادر فيثاغورس وسيخانس ، ومحاسن شعر الحكماء ، وأبواب في المديح والتشبيه ومشي النساء والخفر والشيب والاعتذار والعتاب والمراثي والغزل والحكمة . يبدأ المؤلف كل فصل بآيات كريمة ويشفعها بما ورد من الأثر ثم الشعر ثم أقوال الحكماء في هذا المعنى

وذكر الملق على الكتاب أنه وقعت في طبعته هذه بعض أغلاط ، مع كل ما عانى في تصحيحه ، جاء بعضها سهواً منه ، وبعضها من خطأ النظر ، وبعضها من الأغلاط المطبعية التي لا يتنزه عنها كتاب . ونحن نقيم من كلامه هذا عذرا لكل من أحيا كتاباً للقدامى ؛ وليس من الانصاف أن يُحمل على كل من ارتكب خطأ من هذا القبيل بعد بذل الجهد ، فقد تسرع الناظر في هذا الكتاب وقال (ص ٢٦) إن كتاب العصا هو كتاب القضاء لا العصا ، وليس في جريدة مؤلفات أسامة كتاب في القضاء وإنما هو كتاب العصا المطبوع . وذكر (ص ٢٢) (الأمير معين الدين أنر وزير شهاب الدين محمود) وليس في التاريخ الاسلامي من اسمه أنر ، وإنما هو اتسز وهي كلمة تركية معناها لا لحم له ، أو الرجل النضرب الخفيف اللحم غير الجسيم . واتسز هذا هو مملوك جد مجير الدين أرتق بن محمود ابن بوري بن طغتكين ، وكان عاقلاً ديناً محسناً لعسكره (راجع كتابنا « خطط الشام » م ٢ ص ٢١) . ومن ذلك في صفحة ١٩٢ (تباة البلد) قال ولعلها جمع تاب بوزن غاز وغزاة من قولهم تبا اذا غزا وغنم وسبى . ونحن أميل أن تكون (تُنّاة البلد) أي سكانه من تنأ تنوءا أقام ، ويقولون (الطراء والتناء) أي النزلاء والقيمون وهي الأولى بالمقام

وتسرع أيضاً (ص ٢٨) ونقل ظن بعض أهل العلم أن كتاب « الأدب والمروءة » الذي نشرناه في مجلة المقتبس ، ثم ضممناه الى الطبعة الثانية من « رسائل البلغاء » في سنة ١٣٣١ = ١٩١٣ هو لصالح بن عبد القدوس لا لصالح بن جناح كما ذكر ناشره أستاذنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله ؛ قال « ولعله — أي صالح ابن عبد القدوس — أخفى نفسه بهذا الاسم في بعض الأوقات خوف الطلب » . والحقيقة أن كتاب الأدب والمروءة هو لصالح بن جناح ترجم له ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق ، فقال إنه صالح بن جناح اللخمي الشاعر أحد الحكماء ؛ حكى عنه أبو عثمان الجاحظ أنه ممن أدرك الأتباع بلا شك ، وكلامه مستفاد في الحكمة . وقد أخذ عنه الجاحظ في نيسابور وقال عنه دمشقي ؛ ونشر ابن

النقد

٢ - تاريخ الاسلام السياسى

تأليف الدكتور حسن ابراهيم حسن

بعض مآخذ تاريخية وجغرافية

لأستاذ كبير

أتيت فى كلمتى السابقة على قليل من المآخذ التاريخية التى تورط فيها مؤلف « تاريخ الاسلام السياسى » وقد لحظ بعض الذين قرأوها أنه كان الأفضل ألا أورد هذه المآخذ مسرودة على نحو ما فعلت بل أن أوردها مقرونة بأسبابها الجوهرية . وأجيب عن هذه اللحوظة التى لها وجاهتها العامة بأن من المفيد فى نقد كتب التاريخ أن ينصب النقد أولا على الوقائع مجردة . فان التاريخ من الناحية التحليلية البحتة يقوم على الوقائع التاريخية التى هى مادته الأولية . وبمقدار تزود المؤرخ من هذه المادة الأولية وتمكنه منها احاطة ، وتقويما ، وفهما ، تكون متانة أحكامه التى يستنبطها وافتراضاته التى يذهب اليها ، والعكس بالعكس . وإذا فلا بأس أن أمضى فى كلمتى هذه فى إتمام ما أخذت فيه فى كلمتى السابقة من الأتيان على أجسم ما فى الكتاب من المآخذ التاريخية ،

عساكر طائفة من شعره الجميل . وبذلك انتفى ظن بعض أهل العلم أن كتاب الأدب والمروءة هو لصالح بن عبد القدوس بل هو لرجل عربى دمشقى ينسب الى لخم من أتباع التابعين ومن أساتيذ عالم الأمة الجاحظ

ومثل هاته الهنات المعدودة لا تقدح فى كتاب طويل وقع فى خمسمائة صفحة ، الله أعلم كم قاسى ناشره من المتاعب حتى استخرجه من خطوط قديمة سقيمة . وليس لنا بعد هذا إلا الشكر نقدمه للأستاذ شاكر على عنايته وتجويده

محمد كرد على

مقفياً على أثر ذلك بايراد شيء مما وقع فيه المؤلف من الأغلاط الجغرافية ، والتاريخ والجغرافيا صنوان مؤتلفان ، وهما ظرفا الزمان والمكان لما يسمى بوقائع التاريخ

* * *

قال المؤلف فى ص ٣٤٠ فى معرض الكلام على الوقعة البحرية العظيمة المعروفة فى كتب العرب بذات الصوارى : « وفى سنة ٣١ هـ نشب القتال بين ابن أبى سرح وبين الروم تحت قيادة ملكهم قسطنطين فى البحر الأبيض المتوسط ، على مقربة من الاسكندرية ، وكان النصر للعرب فى هذه الحرب ، وقد عرفت هذه الموقعة بموقعة الصوارى أو ذات الصوارى » والمؤلف يخطىء هنا من حيث زمان الوقعة ومكانها ، فأما من حيث الزمان فالوقعة قد ذكر فى المصادر العربية أنها كانت سنة ٣١ هـ ولكن هناك رواية أخرى تجعلها فى عام ٣٤ هـ ، وقد ظهر من المصادر اليونانية أنها تؤيد الرواية الثانية ، وإذاً يتعين الأخذ بها واطراح الأخرى . وأما من حيث مكان الوقعة فالمصادر اليونانية تعينه فتجعله قريبا من ساحل آسيا الصغرى الجنوبى لا قريبا من اسكندرية مصر (انظر تاريخ العصور الوسطى لكمبردج ج ٢ ص ٣٥٣) والمؤلف لاشك يتابع فى كلامه هنا السير ويليم ميور الذى يأخذ عن المؤرخ الانجليزى جبون ، وكلا هذين المؤرخين أصبح قديما ولا يصح التعويل عليه بصفة مطلقة

جاء فى ص ٣٧٠ عن وقعة الجمل المشهورة « ونشب القتال وعائشة راكبة فى هودجها على جمل يسمى عسكرا واقتتل الناس حوله سبعة أيام حتى صار كالقنفذ من النشاب » والصحيح أن وقعة الجمل لم تدم أكثر من سحابة يوم واحد . فان السبئية من أصحاب على أجمعوا انشاب القتال حتى لا يتم صلح بين الفريقين . وقد حملوا بالفعل ليلا على جيش عائشة وما تعالى النهار حتى كان الفريقان قد اشتبكا فى وقعة دامية ولم يكد النهار ينتصرم حتى كان جمل عائشة

قد عقر وأخذت عائشة وانتهت الوقعة . ولعمري إن جيشاً يرشق كله أو بعضه بالسهام جملا ساعة واحدة لحرى بأن يحيل الجمل كالقنفذ ، ولا يقتضي الأمر سبعة أيام !

ومن الخطأ الجسيم ما وقع فيه المؤلف عند ما أراد أن يبدي رأيه في خروج عائشة وطلحة والزبير على علي ، فهو يقول في ص ٣٧٢ « نرى أنه لا مبرر لعمل طلحة والزبير وعائشة مادام للأمة إمام ينفذ الأحكام ويقيم الحدود ولاسيما وقد وعدهم علي ابن أبي طالب بالنظر في أمر عثمان والبحث عن قاتليه والقصاص منهم عند ما تستقر الأمور . على أننا نرى من جهة أخرى أن مجرد قبول علي في جيشه أعوان ابن سبأ الذين قتلوا عثمان في الوقت الذي يطالب الناس فيه بدمه كاف لأن تحوم الظنون حوله وتبرر اتهامه بالاشتراك في دمه » فالمؤلف ينظر هنا الى كل من الفريقين من وجهة نظر الآخر ، وقد خرج من الموضوع ولا رأي له على التحقيق . والوضع الصحيح للمسألة هو ألا مبرر مطلقاً لخروج عائشة وصاحبيها ، وأما علي فلعل أصدق وصف له في الفتن التي اضطر الى خوض غمارها أنه كان على اخلاصه مغلوباً على أمره .

ويقول المؤلف في هامش ص ٤٥٠ تعليقاً على كلامه على ضرب الحجاج الكعبة بالمجانيق : « لم يرد عبد الملك بن مروان أن يحط من شأن الكعبة وإنما اضطر الى قتال ابن الزبير فحدث ما حدث من غير قصد . وذلك أن الحجاج لما نصب المجانيق على الكعبة جعل هدفه هذه الزيادة التي زادها ابن الزبير في الكعبة ، إذ كان الأمويون يعتبرون ذلك بدعاً في الدين » وهذا تخيل عجيب للحال ، فان مجرد استحلال القتال في الحرم فضلا عن رمي الكعبة بالمجانيق عمل ينطوي في نفسه على حط كثير من شأن الأمكنة المقدسة من غير نزاع . على أن الأمر كان أمر سياسة قبل كل شيء وبنو أمية كانوا إذا تعارضت المصلحة السياسية وأي اعتبار آخر رجحوا جانب المصلحة السياسية كائنا ما كان ذلك الاعتبار الآخر ، وتاريخهم كله يشهد بذلك . وقد يكون من المضحك أن يقال إن الحجاج جعل الزيادة التي زادها ابن الزبير في الكعبة هدفا لمجانيقه ! أفما كان من الممكن الانتظار حتى تضع الحرب أوزارها ثم تنقض الكعبة وتبنى على أسسها القديمة ؟ ثم هل كانت هذه الزيادة متميزة عن سائر بنية الكعبة بحيث يمكن نقضها دون هدم الكعبة ؟ كلا ثم كلا ! لقد كان الهدف الحقيق للمجانيق هو ابن الزبير نفسه ، ولما جعل ابن الزبير الكعبة حائلا بينه وبين المجانيق ضربت الكعبة .

ويقول المؤلف في ص ٤٧١ وقد استعرض أشهر فرق الخوارج في العصر الأموي : « وإن الناظر الى مبادئهم ليجد أنهم اشتطوا جميعاً في الحكم على مخالفيهم حتى ساووا بينهم وبين الكفار عبدة الأوثان » وهذا الحكم على إطلاقه غير صحيح فهو إن صدق على بعض فرق الخوارج كالأزارقة لا يصدق على بعضها الآخر كالأباضية

ومن الخطأ الجسيم الذي وقع فيه المؤلف متابعته مؤرخا متوسط المكانة التاريخية هو السيد أمير علي الهندي في الكلام على نظام الامارة على البلدان في العصر الأموي . يقول المؤلف نقلا عن هذا المؤرخ : « إن هناك نقصا قد تطرق إلى النظام الاداري في عهد بني أمية وجر إلى أسوأ العواقب فيما بعد . وذلك أنه كان يفرض على ولاة الأقاليم الاقامة في حواضر ولاياتهم . أما في عهد الأمويين فقد أصبحت ولاية الولايات تسند الى بعض أفراد البيت المالك والى كبار رجال البلاط فكانوا يبقون في دمشق ويعينون من قبلهم رجالا يقومون بحكم الولايات نيابة عنهم . وكان من أهم أغراض هؤلاء الأمراء على حساب بيت المال ، وإرضاء هؤلاء الولاة بما كانوا يدرونه عليهم من الأموال » ونبادر الى القول بأن هذا النقل غير دقيق فالسيد أمير يؤرخ النقص الذي تطرق الى النظام الاداري من عهد يزيد بن عبد الملك بن مروان أي من عام ١٠١ هـ في حين أن كلام الناقل يجعل تطرق النقص منسحبا على العصر الأموي كله

ومع ذلك فكلام السيد أمير علي لا ينطبق على الواقع ، فانه إذا كانت الولاية على الأمصار قد أسندت في بعض الأحوال إلى أمراء من بني أمية كمسلمة ومروان بن محمد فان ذلك إنما كان لما عرفوا به من الكفاية الممتازة لا لقرابتهم من الخلفاء . ثم إنه لم يكن لبني أمية بلاط بالمعنى الصحيح يولى كبار رجاله على الأمصار كما أن الأمراء لم يكونوا يقيمون بالعاصمة ويستنيبوا غيرهم على الأمصار ، إنما كانوا يقيمون في حواضر الأقاليم نفسها .

هكذا كان خالد القسري أمير العراق ، ونصر بن سيار أمير خراسان وحنظلة بن صفوان أمير مصر .. وإذا انتفت الاستنابة فلا نيابة ولا إثراء ولا رشوة . ولا شك أن السيد أمير على كان يفكر وهو يكتب هذا الكلام فى نظام الولاية على الأقاليم فى العصر العباسى الثانى عند ما غلب الأتراك على الدولة العباسية ، وهو خلط لا مبرر له

ويتكلم المؤلف (ص ٥٧٦) على نظام «العدول» فى معرض الكلام على نظام القضاء فى عصر الخلفاء الراشدين وبنى أمية فيقول « وقد دعت سنة التقدم والارتقاء إلى اتخاذ الشهود (المحلفين) حين فشت شهادة الزور ، إذ جرت العادة أن تقبل شهادة من يتقدم لأدائها ، سواء أكان ممن عرف بالخير أو بالشر . فقضى النظام الجديد بتعيين شهود عدول ، عرفوا بحسن السمعة والفقه ، فصاروا من هيئة المحكمة ، يعمل برأيهم القاضى فيما له علاقة بالمتقاضين

وكان من اختصاصاتهم أيضا الشهادة على ما يصدره القاضى من الأحكام وانه غير مخالف لأحكام الشريعة الاسلامية » لا شك ان المؤلف تناول هذا الموضوع لاعتقاده أن نظام العدول وجد فى العصر الذى اتخذه موضوعا لكتابه . وهو اعتقاد خطأ فأول ما سمع عن نظام العدول انما كان زمن الرشيد أى فى الدولة العباسية (انظر كتاب تاريخ القضاء فى الاسلام ص ١٣٢) ثم ان كلام المؤلف لا يجلو هذا النظام على حقيقته وفيه تخليط كثير (راجع الكتاب المذكور)

ويقول المؤلف فى ص ٦٢٧ وهو يتكلم على الجامع الأموى بدمشق : « وقد تأنق الوليد فى بناء هذا المسجد حتى قيل انه أنفق على عمارته خراج دولته سبع سنين وما ذلك إلا ليتقرب إلى الله بهذا العمل الدينى الجليل » . والمؤلف ينقل هنا عبارة المستشرق فون كريمر ، وفون كريمر يعتمد على ابن الفقيه . ووجه المبالغة غير المعقولة فى تقدير نفقات الجامع ظاهر . وكان ينبغى المدول عن رواية ابن الفقيه والأخذ برواية أخرى متواترة قال بها الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى . ومؤداها أن النفقة استغرقت خراج الشام وحده سبع سنوات

* * *

وبعد فلو أردنا استقصاء الأغلاط التاريخية الواردة فى كتاب « تاريخ الاسلام السياسى » لطال الأمر . فنكتفى بهذا القدر . ونختم كلمتنا اليوم بإيراد أغلاط جغرافية جرى بها قلم المؤلف

فبلدة (صحار) تكتب بالصاد المهملة لا بالسين كما كتبت على خريطة جزيرة العرب الواردة فى أول الكتاب ، وبلدة عينتاب تكتب بالياء الثناة بعد العين (انظر نفس الخريطة) ، وإذا أريد تعيين وادى أوطاس فلا يقال انه بين مكة والبصرة (ص ٣١) فالتعيين على هذا النحو وعدمه سواء . ولا يقال فى تحديد ملك الغساسنة « انه كان حول دمشق وتدمر . وكانوا يجولون فى الجهات الجنوبية لدمشق وخاصة لبنان وفلسطين والبلقاء وحوران » فماذا بقى للروم من الشام (ص٥٦) . ولا يقال ان الطبيعة وهبت نهر اليرموك أسراراً وألغازاً (ص ٢٨٩) ، وإلا فما تلك الألغاز والأسرار ؟ ومن أقبح الخطأ أن يقال ص٣٣٥ « وقد أنشأ معاوية أسطولا حارب البيزنطيين حتى وصل إلى عمورية فى آسيا الصغرى كما استولى على جزيرتى قبرص ورودس » فعمورية لا تقع على البحر ولكنها فى صميم آسيا الصغرى . كما أن هرقلة ليست واقعة على البحر الاسود ولكنها فى شرقى آسيا الصغرى مما يلى منطقة الثغور الاسلامية . (الخريطة ص٣٧٤)

ثم ان خريطة الأندلس ملأى بالخطأ والتحريف

مؤرخ

ظهرت الطبعة الجديدة لكتاب

رفائيل

لشاعر الحب والجمال (لامرتين)

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن مجلة « الرسالة »

والثمن ١٢ قرشاً